طرائق تلقي فلسفة الأخلاق اليونانية وتأويلها في الحضارة العربية الإسلامية [1]

د. عبدالرحمن بن خالد الخنيفر

تقاس كل حضارة إنسانية بمدى تحلِّيها **بالفضائل المدنية**، فمتى ما كان الخيرُ والعدل متفشيًا بين أفراد المجتمع، كانت الأمَّة ترقى في **مدارج القيم والتَّحضر**.

والعرب **أمَّة أخلاقية** تحكمهم العادة والتقليد الاجتماعي المتفاني لصالح الجماعة. أمَّة تتمحور مفردات قيمها في **البذل والعطاء والكرم والنجدة والإغاثة**، وإن شئت فقل: **المروءة**، فمن أحلَّها في نفسه وأظهرها بفعله؛ نال السُّؤدد وإن كان أصله وضيعًا.

أخذت الأخلاق **في الشرق** قالب **الآداب والوصايا** والمواعظ المنثورة في جواهر الكَلِم، والمهيَّأة للاستهلاك العملي لموروث الحِكَم، دون أن تتحول لموضوع **للدرس والتفلسف والتَّأمل**، يبحث في **دوافع الأخلاق وغاياتها**، ويُنقِّب في الرغبات **الكامنة للنفس الإنسانية**. وهذا ما شُغِلَ به **فلاسفة الحضارة اليونانية وأطبَّائها**؛ فالأخلاقُ عندهم تبحث في ماهيَّة الخير (**أرسطو**)، وأحوال النفس وعاداتِها (**جالينوس**)؛ لكونها وعاء الفعل الأخلاقي، وأشرف الموجودات نظرًا لجوهرها المُجرَّد، والإلهي عند بعضهم (**فيثاغورس وأفلاطون**).

ولا تنفصل **المبادئ الأخلاقية** عن الممارسات الواقعية عند فلاسفة اليونان؛ **لعدم استحكام العادات والتقاليد ووصايا رجال الدين على المناخ الفكري في بلاد اليونان**، لذا نجد **سقراط** [ت٣٩٩ق.م] يموت في سبيل قِيَمِه العليا الشامخة، بينما يسخر تلميذه **أرستيبوس** القوريناني [ت٣٥٥ق.م] من هذه المُثل السامية [2]، هذه المفارقة الساخرة **تختزل بين طيَّاتها مذاهب فلسفة الأخلاق اليونانية**.

---

(١) أصل هذا البحث منحة مقدَّمة من جمعية الفلسفة السعودية والمركز السعودي للفلسفة والأخلاقيات بدعم من هيئة الأدب والنشر والترجمة بوزارة الثقافة.

(٢) **عُيِّر أرستيبوس بأخذه الأموال من التعليم بخلاف أستاذه سقراط**، فقال: "حسنًا! بالطبع إني أفعل ذلك، لأن سقراط أيضًا كان عندما يرسل له

فكانت **أخلاق السعادة الأرسطية** أرفع المذاهب الأخلاقية ذكرًا **وأخلدها أثرًا** في الحضارات الإنسانية اللاحقة، وكانت **الرواقية** فلسفة أباطرة الرومان في القرنين الأول والثاني؛ لأنها نسجت الإنسان ضمن صيرورة الطبيعة.

حاصل الأمر، أنَّ هذا التراث الأخلاقي اليوناني، تُرجِم للحضارة العربية الإسلامية في عصور ازدهارها؛ زمن الخلفاء العباسيين **المستنيرين** مطلع القرن الثالث الهجري (١)، فترُجم ما يقرب من **عشرين نصًا يونانيًا** (كتب، رسائل، شذرات) في فلسفة الأخلاق، كانت كفيلة **بقلب الوعي الأخلاقي من معلَّبات وصايا الآداب الفارسية إلى سؤال الخير والفضيلة والسعادة.**

تتراوح هذه النصوص بين **نصوص مؤسِّسة** صحيحة النسبة إلى مؤلِّفيها، ككتاب "**الأخلاق إلى نيقوماخوس**" لأرسطو [ت٣٢٢ق.م] **واختصاره** للإسكندرانيين (٢)، ومحاورة "**فادن**" لأفلاطن [ت٣٤٧ق.م] (٣)، ومقالتَي "**في**

بعض الأشخاص قمحًا ونبيذًا، يأخذ قسطًا ضئيلًا فقط ثم يعيد إليهم ما تبقى، وذلك لأنه كان يحظى بصداقة عِلية القوم في مدينة أثينا، وكان لديه من يقومون على خدمته وتدبير شؤونه، **أما أنا فليس لدي سوى عبدي يوتيخيديس الذي اشتريته من حرِّ أموالي**". ولذلك وظَّف أرستيبوس كل قدراته للتكسب، فأصبح نموذجًا مغايرًا لسقراط، وعندما ترافع محام لصالحه أمام القضاء وكسب القضية، قال له: بماذا أفادك سقراط؟ فرد عليه: أفادني بالذي قلته، أعني أن الكلمات التي قلتها عني جميعًا كانت صحيحة!".

انظر: ديوجينيس اللائرتي، حياة مشاهير الفلاسفة، ج١، ص١٨٤، ١٨٦.

(١) تُعرف الترجمات التي نقلت منذ منتصف القرن الثاني الهجري حتى الثلث الأول من القرن الثالث الهجري بـ"**النقل القديم**" أي المترجمات التي تمت قبل ازدهار مدرسة حُنين بن إسحاق [١٩٤-٢٦٠هـ]. وكانت مرحلة **بناء المصطلحات الفلسفية المترجمة من السريانية إلى العربية**. ومن المؤسف أن الترجمات القديمة لمؤلفات أفلاطون وأرسطو -التي استعان بها الكِندي والسرخسي- فُقِد أكثرها، ولم يبق منها إلا النزر القليل ككتاب "**ما بعد الطبيعة**" وكتاب "**الخطابة**" لأرسطو. وللكندي [ت٢٥٦هـ] رسالة "**في كمية كتب أرسطوطاليس وما يُحتاج إليه في تحصيل الفلسفة**". ونقل ابن المقفع (الابن) من الفارسية كتبًا منطقية عُرفت بمنطق ابن المقفع (**إيساغوجي**، قطوغوريوس (**المقولات**)، فريارمانيس (**العبارة**)).

للاستزادة، انظر: عبدالرحمن بدوي، "**هل كان الكِندي يعرف اليونانية؟**" ضمن كتاب دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، ص١٨٥. و الكِندي، "كمية كتب أرسطوطاليس وما يُحتاج إليه في تحصيل الفلسفة" ضمن كتاب رسائل الكِندي الفلسفية، تح: محمد عبدالوهاب أبو ريدة، ج١، ص٣٥٩-٣٨٤. و أرسطوطاليس، في النفس، تر: إسحاق بن حنين، تح: د.عبدالرحمن بدوي، ص١٦. و أرسطوطاليس، الخطابة: الترجمة العربية القديمة، تح: د.عبدالرحمن بدوي، ص (ر-ي). و محمد ابن المقفع، حدود المنطق، تح: محمد تقي دانش پروة، ص٩١-٩٤.

(٢) أفادت دائرة المعارف الإسلامية في إبرازتها الثالثة (+٢٠٠٢م) أنَّ مترجم هذا الاختصار هو **أبو علي عيسى بن زرعة** [ت٣٩٨هـ]، ولم نقف على هذه الإفادة عند النديم [ت٣٨٤هـ]، وابن القفطي [ت٦٤٦هـ] وابن أبي أصيبعة [ت٦٦٨هـ]، ولا عند محقق الكتاب د.عبدالرحمن بدوي [ت٢٠٠٢م]. **ونرى أنَّ مما يرجِّح هذه النسبة** عنايةُ ابن زرعة بتراث أرسطو وترجمته للعربية، فيورِد أبو حيَّان التوحيدي [ت٤١٤هـ] نصًا أخلاقيًا لأرسطو من نقل ابن زرعة، وينسِب له القفطي ترجمة "**مقالة مجهولة في الأخلاق**" من اليونانية إلى العربية.

للاستزادة: انظر: مجموعة مؤلفين، مختارات من دائرة المعارف الإسلامية (الإبرازة الثالثة)، ج١، ص١٤٣. و أبو حيَّان التوحيدي، المقابسات، تح: محمد توفيق حسين، المقابسة رقم (٣٧)، ص١٣٩. و جمال الدين القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تح: إبراهيم شمس الدين، ص١٨٨.

(٣) تسمي العرب محاورة "**فيدون**" بفادن أو فاذن، ويصفها ابن العبري [ت٦٨٥هـ] بـ"كتاب أفلاطون في الأخلاق" لأنه برهن فيها على خلود النفس في حديثه عن موت سقراط. ولم يبقَ منها سوى شذرات أوردها المؤرخون العرب وجمعها د.بدوي في كتابه "**أفلاطون في الإسلام**". وتُرجمتْ في القرن الماضي ثلاث مرات، عن اليونانية لعزت قرني [ت٢٠١٩م]، وعن الإنجليزية لزكي نجيب محمود [ت١٩٩٣م]، ولشوقي داود تمراز.

أن قوى النفس تابعة لمزاج البدن" (١) و "**في أنَّ الطبيب الفاضل يجب أن يكون فيلسوفًا**" لجالينوس [ت١٩٩م] (٢). وبين نصوص فُقِدت ككتاب "**في أنَّ الأخيار من الناس قد يَنتَفِعُون بأعدائِهم**" (٣) لجالينوس (٤)، وتفسيرا

للاستزادة، انظر: إيمان محمد حامد عبدالقادر، ‹‹دراسة مقارنة لفكر جالينوس الأخلاقي في المصادر اليونانية والترجمات العربية››، (رسالة ماجستير غير منشورة)، (قسم الدراسات اليونانية واللاتينية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٧)، ص٦٢. و عبدالرحمن بدوي، أفلاطون في الإسلام، ص١٢٣-١٢٩.

(١) بتعبير جالينوس "**قوى النفس عبدة لأخلاط الجسد**". وطارح هذه المقالة أبو سليمان المنطقي [ت٣٩١هـ] بقوله: "**وإني لأعجب ممن يظن أنها تابعة للمزاج**، فهلا نامت عند نوم الإنسان؟ فإن المزاج قد جبل على النوم عند الضرورة.. هذا ما لا يسمح به عقل له في معرفة الصواب نسب صحيح، أو لصاحبه في موافقة الحق رغبة تامة". وهذه المطارحة الحادة من رأس المدرسة الأرسطية تعكس صراع الفرق الفلسفية (الأرسطية مقابل الجالينوسية) نهاية القرن الرابع الهجري في بغداد. وقبله قال الكِندي [ت٢٥٢هـ]: "إنَّا بأنفسنا نحنُ ما نحنُ لا بأجسامنا.. فأجسامنا آلات لأنفسنا تظهرُ بها أفعالها". أمَّا الطبيب الفيلسوف ابن سينا [ت٤٢٧هـ] فأخذ برأي أبقراط وجالينوس رغم أرسطيته، فقال: "وقد تبيَّن في العلوم الطبيعية أنَّ الأخلاق والعادات تابعة لمزاج البدن".

للاستزادة، انظر: أبو حيَّان التوحيدي، المقابسات، المقابسة رقم (٧٦)، ص٢٤٦-٢٤٨. و الكِندي، رسالة "في الحيلة لدفع الأحزان" ضمن كتاب رسائل فلسفية، تح: د.عبدالرحمن بدوي، ص١١. و ابن سينا، "رسالة في الكلام على النفس الناطقة"، ضمن كتاب أحوال النفس: رسالة في النفس وبقائها ومعادها، تح: أحمد فؤاد الأهواني، ص١٩٧.

(٢) نُشرت مقالة جالينوس نشرة وحيدة، نشرها بيتر باخمان [ت٢٠١٨م] في مجلة "أكاديمية العلوم" بمدينة غوتنغن الألمانية، العدد الأول، عام ١٩٦٥م. وسار على منوالها الطبيب المصري علي بن رضوان [ت٤٥٣هـ] في مقالتيه "**في شرف الطب**" و"**التطرق بالطب إلى السعادة**".

للاستزادة، انظر: ابن رضوان، مقالة في التطرق بالطب إلى السعادة، تح: سلمان قطاية، مجلة تاريخ العلوم العربية، (مج٢، ع٢، نوفمبر ١٩٧٦م)، ص٧١-٨٨. و ابن رضوان، مقالة في شرف الطب وأدب الطبيب، تح: سلمان قطاية، مجلة الباحث، (سنة١، ع٥-٦، يونيو١٩٧٩م)، ص١٢٣-١٣١.

(٣) أشار إلى هذه الرسالة حنين بن إسحاق في قصة محنته مع المتوكل [ت٢٤٧هـ]، وكذا مسكويه في "**تهذيب الأخلاق**"، ويوجد شذرات أو نصوص مستوحاة منها لم تُجمع.

(٤) ومن رسائل جالينوس المفقودة رسالة "**في تعرُّف المرء عيوب نفسه**" أو "**كيف يتعرف الإنسان ذنوبه وعيوبه**" ترجمة توما الرهاوي [ت+٢٣٧هـ] وإصلاح حنين بن إسحاق [ت٢٦٠هـ] في مقالة واحدة من أصل مقالتين حُفظتا في اليونانية، ذكر جوامعها وجملتها أبو بكر الرازي [ت٣١١هـ] في كتابه "**الطب الروحاني**"، والفارابي [ت٣٣٩هـ] وابن سينا [ت٤٢٧هـ] في رسالتيهما "**في السياسة**"، وحفظ شذرة منها مسكويه [ت٤٢١هـ] في "**تهذيب الأخلاق**"، وأسلمها الغزَّالي [ت٥٠٥هـ] في "**إحياء علوم الدين**".

للاستزادة، انظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، ص٢٦٤. و مسكويه، تهذيب الأخلاق، تح: عماد الهلالي، ص٤٠٤-٤٠٦. و أبو حامد الغزَّالي، إحياء علوم الدين، ج٥، ص٢٢٧-٢٣٠. و أبو بكر الرازي، رسائل فلسفية، تح: پول كراوس، ص٣٣-٣٥. و لويس شيخو وآخرون، مقالات فلسفية لمشاهير فلاسفة العرب مسلمين ونصارى، ص٢-٣٤.

"**كتاب الأخلاق النيقوماخية**" لفرفوريوس الصوري [ت٣٠٥م]، وثامسطيوس [ت٣٨٨م] [١]، وكتاب "**الرياضة**" لفلوطرخس [ت١٢٥م] [٢].

وبين **نصوص نُسبت أو أُنتحلت** على الفلاسفة اليونانيين في أصلها المترجَم أو عبر اللغة الوسيطة (السريانية) أو من الواضع العربي ككتاب "**الإيضاح في الخير المحض**" لبرقلس [ت٤٨٥م] المنسوب خطأً لأرسطو [٣]، وكتاب "**سرُّ الأسرار**" ومقالة "**في التدبير**" المنتحلتان على أرسطو، وكذا رسالة "**آداب الصبيان**" المنحولة

---

(١) **يبدو أنَّ تفسير ثامسطيوس فُقِد مبكرًا في اليونانية وكذا في الحضارة العربية بعد ترجمته**، فلا نجد فلاسفة الأخلاق العرب يحيلون إلى تفسيره، بعكس الإحالات المتوافرة لتفسير فرفوريوس الصوري (اثنا عشر مقالة) والذي أحال إليه الفارابي [ت٣٣٩هـ]، ومسكويه [ت٤٢١هـ] تصريحًا في كتابيه "**تهذيب الأخلاق**" و "**تجارب الأمم**". ويمكن تعليل ذلك بترجيح ترجمة إسحاق بن حنين [ت٢٩٨هـ] لهذا التفسير إلى السريانية دون العربية، كما يُفهم من عبارة النديم: "وخرجتْ سرياني"، وأنَّ يحي بن عدي [ت٣٦٤هـ] -الذي آلت إليه هذه الترجمة- لم ينقلها إلى العربية. وأشار ابن باجَّة [ت٥٣٣هـ] في إحدى رسائله إلى **آراء ثامسطيوس الأخلاقية** دون الإشارة إلى مصدره، بقوله: "وقد توجد لبعض الناس بالطبع على ما يقوله ثامسطيوس في القياس في ذوي الفِطر الفائقة". وقد تشكَّك د.بدوي في آخر أمره في تأليف ثامسطيوس لهذا التفسير. وله تفسير فُقِد أيضًا لكتاب "**في النفس**" لأرسطو.

ولا يقتصر مُشكِل الفقد عند هذا الحد، **فأبو نصر الفارابي يثير إشكالًا تاريخيًا بإشارته لشروح أخرى للأخلاق النيقوماخية**، بقوله: "ولو كان الأمر فيه أيضًا على ما قاله فرفوريوس، **وكثير ممن بعده من المفسرين**، أنه يتكلم عن الأخلاق"، فمن هؤلاء المفسرين الذين يشير لتفسيرهم لكتاب "**الأخلاق النيقوماخية**"؟ من المؤكد أنَّ تفسير ثامسطيوس يدخل فيهم دخولًا أوليًا -إذا اعتبرنا ترجمته للعربية-، فهل يشير الفارابي إلى "**شرح أولمبردس الصغير**" [ت٥٧٠م] أحد الأفلاطونيين المحدثين الذين صانوا تقاليد مدرسة الإسكندرية التقليدية حتى إغلاقها؟ لا نجد أدنى إشارة لذلك في المصادر العربية. وقبل فرفوريوس الصوري لخَّص الفيلسوفان أندرونيقوس الرودسي [ت+٦٠م] وأسباسيوس [ت١٥٠م] كتاب "**الأخلاق النيقوماخية**". وتكمن الأهمية القصوى لهذه الشروح أنها كانت طريقًا **لتسرب الفلسفة الأفلاطونية المحدثة وبعض آراء الرواقية** للحضارة العربية كما يرى المستشرق دي بور [ت١٩٤٢م] و د.ماجد فخري [ت٢٠٢١م].

للاستزادة، انظر: أرسطوطاليس، الأخلاق، تر: إسحاق بن حنين، تح: د.عبدالرحمن بدوي، ص٩-١٠. و أبو نصر الفارابي، الجمع بين رأيي الحكيمين، تح: ألبير نصري نادر، ص٦٠، ٩٥. و ماجد فخري، الفكر الأخلاقي العربي، ج٢، ص٦٧. و أحمد عبدالحليم عطية، من أثينا إلى بغداد: القراءة العربية للأخلاق اليونانية، ص١٦. و ابن باجَّة الأندلسي، رسائل فلسفية، تح: جمال الدين العلوي، ص٩٠. و مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية (الإبرازة الثانية)، ج٢، ص٤٤٩، ٥٨٤. و عبدالرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج٣، ص٨٣.

(٢) نقل هذا الكتاب للعربية قسطا بن لوقا [ت نحو٣٠٠هـ]، ويبدو أنَّه في رياضة النفوس. وكان فلوطرخس أرسطيًا يقول بالفضيلة الوسطى بين رذيلتين، وضد الرواقية والأبيقورية وعنهم كَتبَ "**الآراء المشتركة ضد الرواقيين**" و "**لا تليق الحياة وفقًا لرأي الأبيقوريين**". ومن المحتمل أنَّ ابن لوقا استفاد من كتاب "**الرياضة**" لفلوطرخس في تأليف كتابه الشهير "**في علل اختلاف الناس في أخلاقهم وسيرهم وشهواتهم واختياراتهم**" ذي المسحة الجالينوسية. ونتفق مع المرحوم د.بدوي أنَّ قسطا بن لوقا يَلحق بحنين بن إسحاق في عُلو كعبه في الترجمة والفضل، **إلا أنَّ تراثه لم يُخدم كما خدم تراث حُنين**، ويحتاج إلى "دراسة مستوفاة خاصة". وتقصر عبارة المتأخرين عن المتقدمين: "وكان يجب أن يقدَّم على حنين لفضله ونُبله، وتقدُّمه في صناعة الطب.. **وكلا الرجلين فاضل**" كما قال النديم.

للاستزادة، انظر: جمال الدين القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص١٩٦. و مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية (الإبرازة الثانية)، ج٢، ص٤٣٨. و عبدالرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج٣، ص٢١١-٢١٥. و أرسطوطاليس، في النفس، ص٣٢، ٣٦.

(٣) انظر تحقيق د.عبدالرحمن بدوي لهذه المسألة في كتابه "**الأفلاطونية المحدثة عند العرب**"، ص١-٣٧.

على أفلاطون (١)، وأخرى غير معلومة المؤلِّف كمقالة "**في الأخلاق**" لابن الخمَّار [ت+٤٠٧هـ] (٢)، و"**مقالة مجهولة في الأخلاق**" (٣) نقلها عيسى بن زرعة [ت٣٩٨هـ]، وهو آخر من يُرتضى نقله لكتب حكماء اليونان (٤).

(١) حفظ لنا مسكويه هذه الآداب في كتابه "**الحكمة الخالدة**" تحت عنوان "**وصية لأفلاطن في تأديب الأحداث**" نقلها إسحاق بن حنين، وحاكاها الفلاسفة والأطباء في الحضارة العربية الإسلامية.

انظر: مسكويه، الحكمة الخالدة، تح: د.عبدالرحمن بدوي، ص٢٧٠-٢٧٨.

(٢) مقالة "**في الأخلاق**" نقلها عن السريانية الحكيم الحسن بن سوار المعروف بابن الخمَّار، يفترض المستشرق يوهان ڤنريش [ت١٨٤٧م] أنها عين ترجمة كتاب "**الأخلاق إلى نيقوماخوس**" لأرسطو، وهو قول غير مسبوق. ولا نعلم ما الذي حمل ڤنريش على هذا الرأي، سوى أنَّ ابن الخمَّار كان أرسطيًا ملتزمًا بأرسطيته في المنطقيات والأخلاقيات، أمَّا المنطقيات فكتاباته المفقودة والمخطوطة تشهد بذلك، ومنها تعليقاته على كتابي: "**سوفسطيقا**" و "**إيساغوجي**" التي نشرها د.بدوي ضمن كتاب "**منطق أرسطو**". وأمَّا الأخلاقيات فمقالته المفقودة "**في السعادة**"، والمطبوعة حديثًا "**في بقاء النفس الناطقة من الإنسان على رأي أرسطوطاليس**"، وكذا كتابه المفقود عن "**الصديق والصداقة**" التي تُجاري -في ظنِّنا- مباحث المقالتين الثامنة والتاسعة من كتاب "**الأخلاق النيقوماخية**". ولا نعلم هل استقى صاحبه التوحيدي [ت٤١٤هـ] عنوان رسالته "**الصداقة والصديق**" منه أم العكس؟

للاستزادة، انظر: مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية (الإبرازة الثانية)، ج٢، ص٤٣٨. و النديم، الفِهرست، تح: أيمن فؤاد سيد، ج٢، ص٢٠٥-٢٠٦، و عبدالرحمن بدوي، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية (دراسات لكبار المستشرقين)، ص٨٧-٨٨. و النظامي العروضي السمرقندي، جهار مقالة (المقالات الأربع) في الكتابة والشعر والنجوم والطب، تر: عبدالوهاب عزام ويحيى الخشاب، ص٨١.

(٣) رجَّح د.عبدالرحمن بدوي نسبة ترجمة كتاب "**المدخل إلى علم الأخلاق**" لابن زرعة اعتمادًا على نسبة القفطي [ت٦٤٦هـ] له مقالة مجهولة في الأخلاق. و "**مقالة ابن الخمَّار في بقاء النفس الناطقة**" تحقيق وتقديم يونس أجعون، مجلة فيلوسموس، (سنة١، ع٣-٤، سبتمبر٢٠٢٣م). ومما يُشكِل على رأي د.بدوي أنَّ مؤلف كتاب "**المدخل إلى علم الأخلاق**" متأثر بالأفلاطونية المحدثة، وينقل آراء الرواقية بشكل دقيق، بينما كان ابن زرعة أرسطيًا ملتزمًا، مجافيًا لغيره.

للاستزادة، انظر: مقدمة د.عبدالرحمن بدوي لتحقيق كتاب "الأخلاق إلى نيقوماخوس" لأرسطو، ص٣٩٢، ٤٣٦-٤٣٧.

(٤) زعم أبو الحسن العامري [ت٣٨١هـ] أنَّ "الحكمة" تُطلق على من أحاط بالإلهيات على الوجه الشرعي، دون من اكتفى بتعلم المنطق والطب فلا يطلق عليه هذا اللقب. وبناءً عليه، حَصرَ حكماء اليونان في خمسة حكماء أشهرهم سقراط وفيثاغورس وأفلاطون وأرسطو، وانفرد برواية نادرة حكاها عن جالينوس مفادها تردد أهل زمانه أن يصفوه بالحكيم بدل الطبيب! فلمَّا رأوا شكَّه في العالم أقديم هو أم حديث؟ وفي المعاد أحق هو أم باطل؟ دنت درجته من أن يُسمَّى حكيمًا! ورجَّح أبو بكر الرازي أنَّ رأي جالينوس هو حدوث العالم. ومن المحتمل أن تكون هذه الحادثة وراء وضع جالينوس مقالته الشهيرة "**في أنَّ الطبيب الفاضل يجب أن يكون فيلسوفًا**".

للاستزادة، انظر: أبو الحسن العامري، الأمد على الأبد، تح: أورتك. روسن، ص ٧١-٧٥. و أبو بكر الرازي، الشكوك على جالينوس، تح: مهدي محقق، ص٣-٥.

تفاعل العرب والمسلمون مع هذا التراث الأخلاقي شرحًا كـ "**شرح صدر من كتاب الأخلاق النيقوماخية**" للفارابي [ت٣٣٩هـ] (١) (٢)، واختصارًا كـ "**مختصر كتاب في الأخلاق لجالينوس**" لأبي عثمان سعيد بن يعقوب [ت+٣١٠هـ]، وتلخيصًا كـ "**تلخيص كتاب الأخلاق النيقوماخية**" لابن رشد القرطبي [ت٥٩٥هـ]، وتهذيبًا كمصنفات "**تهذيب الأخلاق**" ليحيى بن عَدي [ت٣٦٤هـ] ومسكويه [ت٤٢١هـ]، وابتكارًا كرسائل "**طب الأخلاق**" و"**مداواة الأخلاق**" و"**أخلاق النفس**" وغيرها الكثير الكثير، وكانت "**رسالة في الأخلاق**" للكِنْدي

(١) أثار حنق فلاسفة الأندلس ورود عبارة مُشكِلة تُنسب لأبي نصر الفارابي في شرحه، وهي قوله: "**لا بقاء بعد الموت أو المفارقة، ولا سعادة إلا السعادة المدينية، ولا وجود إلا الوجود المحسوس، وإنَّ ما يقال أنَّ بها وجودًا آخر غير الوجود المحسوس خرافات عجائز**". علَّق عليها **ابن باجَّة** [ت٥٣٣هـ] قائلًا: "وهذا كله باطل ومكذوب فيه على أبي نصر، وإن ذكر ذلك أبو نصر في أول قراءته"، أمَّا **ابن طفيل** [ت٥٨١هـ] فقال: "وهذا قد أيأس الخَلق جميعًا من رحمة الله تعالى، وصيَّر الفاضل والشرير في رتبة واحدة، إذ جعل مصير الكل إلى العدم. وهذه زلَّة لا تقال، وعثرة ليس بعدها جبر..". وهنا لا بد من إعمال العصبية العلمية، فابن باجَّة يرى الفارابي "الشارح الأكبر" لتراث أرسطو ويكثر من الرجوع إليه، بينما يتعصَّب ابن طفيل لابن سينا، وكتب قصته "**حي بن يقظان**" على منواله. وقال: "من أراد الحق الذي لا جمجمة فيه فعليه بطلبها".

قلتُ: استنكرتُ أن تكون هذه العبارة للفارابي في أول الأمر، رغم تخريج ابن باجَّة لها أنها في أول قراءته، ونسبها ابن باجَّة زورًا لـ"إخوان الصفاء الضالين". أمَّا ابن طفيل فلم ينكرها. وأثناء تدارسي هذه المسألة مع أحد الزملاء المشتغلين بالفلسفة (أ.حمود الباهلي) أشار إلى ورود عبارة للفارابي من ذات المشكاة في كتابه "**الجمع بين رأيي الحكيمين**" في مسألة (قدم العالم وحدوثه) منها قوله: "ومن أحبَّ الوقوف على ذلك، فلينظر في الكتب المصنفة في المبدآت والأخبار المرويَّة فيها، والآثار المحكيَّة عن قدمائهم، **ليرى الأعاجيب عن قولهم بأنه كان في الأصل ماء متحرك**، واجتمع زبد، وانعقد منه الأرض، وارتفع منه الدخان، وانتظم في السماء.. وما أشبه ذلك مما لا يدل شيء منه على التلاشي المحض. لولا ما أنقذ الله أهل العقول والأذهان بهذين الحكيمين [أفلاطون وأرسطو]، ومن سلك سبيلهما ممن وضحوا أمر الإبداع بحجج واضحة مقنعة". فترجَّح عندي نسبتها إليه، مع إمكانية تأويلها دفعًا للتهم وإبراءً للذمم.

للاستزادة، انظر: ابن باجَّة، رسائل فلسفية، ص١٩٧-١٩٨. و مجموعة مؤلفين، حي بن يقظان: النصوص الأربعة ومبدعوها، تح: يوسف زيدان، ص١٣٢. و عبدالرحمن بدوي، أفلاطون في الإسلام، ص١٧٣-١٩٤. و أبو نصر الفارابي، الجمع بين رأيي الحكيمين، ص١٠٣.

(٢) نسبت دائرة المعارف الإسلامية في إبرازتها الثانية، شرحًا لكتاب "**الأخلاق النيقوماخية**" لأبي الفرج عبدالله بن الطيب [ت٤٣٥هـ] لم نجده في مصادر ترجمته، ولم يشر إليه أخص تلاميذه أبو حيَّان التوحيدي [ت٤١٤هـ].

انظر: مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية (الإبرازة الثانية)، ج٢، ص٤٣٨.

[ت+٢٥٢هـ] [1] أول رسالة في الحضارة العربية الإسلامية تُكتب في الأخلاق [2]. فضلًا عن تراث عريض في "**الآداب اليونانية**" تتضمن بعض الآراء الأخلاقية صحيحة النسبة لقائليها [3] [4].

نتناول في هذا البحث المختصر بمنهجية تاريخية تحليلية [5]، آليات وطرائق تلقِّي الحضارة العربية الإسلامية فلسفة الأخلاق اليونانية، وما طرائق قراءة فلاسفة العرب والمسلمين لها؟

---

(١) فُقِدت –للأسف– هذه الرسالة ولا نجد أصداءها بشكل واضح لدى طلاب الكِندي، ويرى فالتزر [ت١٩٧٥م] أنَّ مسكويه ربَّما نقل شاهدًا من هذا الكتاب. كما فُقِدت رسالة الكِندي الأخرى "**في التنبيه على الفضائل**" ويشيء اسمها بنَفَس سقراطي أرسطي. وحُفظت لنا رسالته الشهيرة "**في الحيلة لدفع الأحزان**" ذات المضمون الجالينوسي والطابع الرواقي؛ لأنها كُتبت على طريقة كتاب جالينوس "**في صرف الاغتمام**" المترجم للسريانية والعربية قبل منتصف القرن الثالث الهجري. وبفضلها أصبح "باب دفع الغم أو الخوف من الموت" رئيسيًا في مصنفات "تهذيب الأخلاق" كما لدى مسكويه [ت٤٢١هـ]. ولابن سينا [ت٤٢٧هـ] رسالة "**في دفع الغم من الموت**".

للاستزادة، انظر: النديم، الفِهرست، ج٢، ص١٩١-١٩٢. و ماجد فخري، الفكر الأخلاقي العربي، ج٢، ص١٥-٢٦. و ابن سينا، رسائل الشيخ الرئيس ابن سينا في أسرار الحكمة المشرقية، تح: ميكائيل بن يحيى المهرني، ص٤٩-٥٧. و أحمد عبدالحليم عطية، جالينوس في الفكر القديم والمعاصر، ص٨٩-٩٠، ١٠١. و مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية (الإبرازة الثانية) مادة (جالينوس)، ج١٠، ص٤٢٢-٤٢٥.

(٢) لم يسبق رسالة الكِندي سوى كتاب كُتِب على طريقة الآداب الفارسية، وهو كتاب "**أخلاق هارون**" لعلي بن عبيدة الريحاني [ت٢١٩هـ] كتبه في أخلاق هارون الرشيد [ت١٩٣هـ] على طريقة كتابه في "**أدب جوانشير**". وجوانشير هذا أمير فارسي كان مضرب المثل في الشجاعة، حارب بجوار الإمبراطورية الفارسية إبَّان الفتوح العربية، وأُغتيل عام ٦٠هـ. ولم نذكر كتاب "الأخلاق" لأبي عبدالرحمن بن محمد العُتبي [ت٢٢٨هـ] لأنَّا نحسب كتابه في رواية مكارم العرب، كما جاء في وصف سيرته بـ"الأخباري الشاعر المُجوّد". ومصنفاته شاهدة على ذلك في "**أشعار الأعاريب**" و "**أشعار النساء اللاتي أحببن ثم أبغضن**". إلا أنَّ هذه اليقينيَّة أخذت تتصدَّع بعد وقوفنا على نص فلسفي لأرسطو نسب ابن باجَّة الأندلسي [ت٥٣٣هـ] مصدره في رسالته "**الوقوف على العقل الفعَّال**" للعُتبي. ورجَّح د.ماجد فخري أن المقصود أبا عبدالرحمن العُتبي في كتابه "**الأخلاق**". ونرجِّح أن العُتبي حكى ما حكاه عن أرسطو على سبيل الرواية لا الدراية، ممَّا كان شائعًا في البصرة وبغداد في عصر الترجمة الذهبي عن اليونانية. وأرقى أحوال كتابه "**الأخلاق**" أن يكون خليطًا من الحِكم العربية والفارسية وشيء من حِكم فلاسفة اليونان.

للاستزادة، انظر: ابن باجَّة الأندلسي، رسالة "الوقوف على العقل الفعَّال" ضمن كتاب رسائل ابن باجَّة الإلهية، تح: ماجد فخري، ص١٠٧. و النديم، الفِهرست، ج١، ص٣٧٧-٣٧٨.

(٣) منها حتى نهاية القرن الخامس الهجري: "**آداب الفلاسفة**" لحنين بن إسحاق [ت٢٦٤هـ]، و"**طبقات الأطباء والحكماء**" لابن جلجل [ت+٣٧٧هـ]، و"**صوان الحكمة**" لأبي سليمان السجستاني [ت+٣٩١هـ]، و"**الكلم الروحانية في الحكم اليونانية**" لابن هندو [ت٤٢١هـ]، و"**طبقات الأمم**" لصاعد الأندلسي [ت٤٦٢هـ]، و"**مختار الحكم ومحاسن الكلم**" للمبشر بن فاتك [ت٤٨٠هـ].

(٤) ينتقد ابن باجَّة كتب الآداب الفارسية والعربية، ولا يعدها مؤلفات فلسفية في الأخلاق تبحث عن الغايات والكليات، وإنما جزئيات وحكايات عن سِير خاصة، فيقول: "ما كتبه البلاغيون في كتب الآداب التي **يسمونها نفسانية**، مثل كتاب "**كليلة ودمنة**" ومثل كتاب "**حكماء العرب**"، المشتملة على الوصايا والأقاويل المشورية. وأكثر ما يوجد هذا أجزاء من كتاب، كما يوجد ذلك في الأبواب التي تتضمن صحبة السلطان ومعاشرة الإخوان وما شاكل ذلك؛ **فإن جُلَّ ذلك إنما كان الصادق** منها وقتًا ما وفي سيرِ سيرة، فإذا تغيرت تلك السيرة تغيرت تلك الآراء، **التي هي أقاويل كليَّة، فصارت جزئية بعد أن كانت كليَّة، وصارت بعد أن كانت نافعة ضارة أو مطرحة**..".

للاستزادة، انظر: ابن باجَّة الأندلسي، تدبير المتوحِّد، تح: معن زيادة، ص٥٥-٥٦.

(٥) للوقوف على جدوى المناهج التاريخية والتحليلية (المتنوعة) في قراءة التراث، نحيل إلى ما كتبه حسن حنفي [ت٢٠٢١م] ونقد أستاذنا محمود إسماعيل له.

انظر: حسن حنفي، من النقل إلى الإبداع، ج١ (النقل: (١) التدوين)، ص٤٦-٦٠. و محمود إسماعيل، إشكالية المنهج في دراسة التراث، ص٤٩-٦٧.

وينتظم هذا البحث في مبحثين، وخاتمة، وثبت بالمصادر والمراجع، على النحو التالي:

المبحث الأول: مفهوم الأخلاق في التراث العربي.

المبحث الثاني: مفهوم الأخلاق بعد تلقي تراث فلسفة الأخلاق اليونانية.

ومن نافلة القول، أنَّ الإحاطة التَّامة بتحليل كافة التراث الفلسفي الأخلاقي المترجَم والمؤلَّف حتى نهاية القرن الخامس الهجري مُحال مع محدودية الصفحات، **لذلك حاولنا الإحاطة** بأبرز ممثليها ترجمةً وتأليفًا، أمَّا المذاهب الأخلاقية الفلسفية المغمورة في التراث العربي كالرواقية والأبيقورية، فقد ضربنا الذكر عنها صفحًا لسببين، **الأول**: عدم وجود مترجمات لتراثها زمن النقلة الأوائل، وإن كنَّا نتلمس أصداءها. **والثاني**: أنَّ المتبقي من تراثهم في فِقَر الحكماء يحتاج إلى غربلة ومقارنة بالنصوص اليونانية.

مع التنويه أنَّنا لم نتناول بالدراسة تراث المعتزلة الأخلاقي بعد معانقته تراث الفلسفة اليونانية، لاختلاف مباحثه وغموض مصادره؛ حيث لا يشير المعتزلة إلى تراث فلسفة الأخلاق اليونانية، وإنَّما يُستَشف نَفَسُهم الفلسفي من مصادرهم الإسلامية كالفارابي وابن سينا [1].

(١) نلحظ أن تراث الجاحظ [ت٢٥٥هـ] يمثل ذروة نشاط العقل العربي لتحليل موضوعات الأخلاق بمنأى عن الفلسفة اليونانية، رغم معاصرته للكِندي [ت٢٥٦هـ] الذي يُعد أول فيلسوف عربي تأثَّر بفلسفة الأخلاق اليونانية. ويمثل القاضي عبدالجبَّار الأسدآبادي [ت٤١٥هـ] ذروة النضوج الاعتزالي في معالجة القضايا الأخلاقية بعد تأثر المعتزلة بفلاسفة الإسلام، رغم موقفهم السلبي من الفلسفة وعلوم الأوائل، كما ينقل عن القاضي عبدالجبَّار في "**الملل والنحل**" للشهرستاني [ت٥٤٨هـ].

للاستزادة، انظر: عزت السيد أحمد، فلسفة الأخلاق عند الجاحظ، ص٦١-١٢٣. و ماجد فخري، الفكر الأخلاقي العربي، ج١ (الفقهاء والمتكلمون)، ص٣١-٦٩.

المبحث الأول: مفهوم الأخلاق في التراث العربي.

ترجع **مفردة الأخلاق** في التراث العربي إلى الجذر الثلاثي **(خ.ل.ق)**، وتعني عدة معانٍ [(١)] أشـهرها "**تَقدِيرُ الشَّـيء**". ومن (الخَلْق) الذي يعني: إيجاد الشـيء، أُشـتُقَّ **الخُلْق أو الخُلُق** -وجهان[(٢)] ويعني: تَقدِيرُ الشَّـيء، أي: **ما قُدِّر عليه الشخص** من أصل خِلقته [(٣)].

وللخُلْق عند العرب عدة معانٍ ذات دلالات متقاربة جدًا، **أشهرها: الطَّبْعَة** [(٤)]. وهي أشهر مفردة يفسِّر بها المتقدمون معنى الخُلْق، **وهي من الطَّبع**. قال ابن جني [ت٣٩٢هـ]: "وقولهم: الطَّبيعَة من طَبعتَ الشَّـيء، أي **قرَّرته على أمرٍ ثَبَت عليه**، كما يُطْبَع الشَّـيء كالدِّرهم والدِّينار، فَتلزمُه أشـكاله، فلا يمكنه انصـرافه عنها ولا انتقاله" [(٥)].

والثانية: **الشِّـيمَة**. وهي "خَلِيقة الإنسـان، سُمِّيتْ شِيمَةً لأنَّها كأنَّها مُنْشـامَة فيه داخلةٌ مُستكِنَّة"[(٦)]. **أي في أصل تركيبه**. ولذلك قيل: **ليس بِمفطومٍ عن شِيمَة، مَفطورٌ عليها في المَشِيمة**[(٧)].

---

(١) حصر "**المعجم الكبير**" معاني مادة (الخاء واللام والقاف) من كافة المعاجم والمدونات التراثية، فجاءت في **خمسة معانٍ** هي: ١. إيجاد الشّيء. ٢. تَقْدِيرُهُ. ٣. مَلاسَتُهُ واسْتِواؤهُ. ٤. البِلَى والتَّغيُّر. ٥. نوع من الطِّيبِ. **والمعنى الثاني هو ما يتصل ببحثنا.**

انظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الكبير، ج٦، ص٧٢٦-٧٤٢.

(٢) يفسر الراغب الأصفهاني [ت٥٠٢هـ] هذا الاشتقاق اللغوي بقوله: "وأمَّا الخُلُق في الأصل كالخَلق كقولهم الشَرْب والشُرُب، والصَّرْم والصُّرُم، لكن الخُلُق يقال في القوى المدركة بالبصيرة، والخَلْق في الهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر".

انظر: الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تح: أبو اليزيد العجمي، ص٩٦.

(٣) يؤكد هذا المعنى اللغوي أبو سليمان المنطقي [ت+٣٩١هـ]، فيقول: "وهذا كله دليل على أنَّ **الخُلُق في وزن الخَلْق**، وعلى سياقه، يعسر منه ما تعسر من هذا، ويسهل منه ما تيسر من ذلك". ولأبي حيَّان التوحيدي [ت٤١٤هـ] كلام نحوه.

انظر: أبو حيَّان التوحيدي، المقابسات، المقابسة رقم (٣)، ص٨٢. و أبو حيَّان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تح: هيثم الطعيمي، ج١، الليلة التاسعة، ص١١١.

(٤) **الطَّبِيعَة**: "من قولهم طُبِع الرَّجُل على الشيء طَبْعًا، إذا جُبِل عليه، والطَّبِيعَة: **الخَلِيقَة التي جُبِل عليها**"، كما يقول ابن دريد [ت٣٢١هـ].

وقال حُميد بن ثور الهلالي [ت٣٥هـ]:

لكل امريءٍ يا أم عمروٍ **طبيعةٌ** *** وتَفريقٌ ما بين الرِجال **الطبائعُ**

وقال ابن منظور [ت٧١١هـ]: "وطَبَع الله الخَلْقَ على الطَّبائِع التي خَلَقَها فأنشأهم عليها، وهي خَلائِقُهم. **والطِّباعُ: ما رُكِّب في الإنسان من جميع الأخلاق التي لا يَكادُ يُزاوِلُها من الخير والشر**". **قلتُ**: وليس من عادة أهل اللغة التعبير بـ"الخير والشر" في مبحث الأخلاق اللغوي، وإنما يعبرون بالمحاسن والمساوئ، ولعل هذا من **تأثير دخول تراث فلسفة الأخلاق اليونانية**.

انظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، تح: رمزي منير البعلبكي، ج١، ص٣٥٧. و ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص١٥٥-١٥٦. و ديوان حميد بن ثور الهلالي، جمع: محمد يوسف نجم، ص ٦٣.

(٥) ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ج٢، ص ١١٤.

(٦) ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: أنس محمد الشامي، ص٤٦٦. و الزمخشري، أساس البلاغة، تح: عبدالرحيم محمود، ص٢٤٦.

(٧) وشاهد ذلك من **شعر العرب**، قول عنترة بن شداد [ت٦٠٨م]:

والثالثة: **الجِبِلَّة** (١). وهي بمعنى الطَّبِيعَة.

والرابعة: **السَّجِيَّة** (٢). وهي ما يسجو عليه الطَّبع ويثبت، وهي الأقل دلالة على الرسوخ.

ومن معاني الخُلْق المهمة: النَّحِيتة والنَّقِيبة والنَّحِيزة والسَّلِيقة (٣).

وكلها مفردات **تدل على السكون والرسوخ** والثبات والاستقرار وعدم الزوال والتغير، وكل ما أفاد ذلك **صار من معانيها** (٤). وأحسن الراغب الأصفهاني [ت٥٠٢هـ] التعبير عنها بقوله: "الطَّبع: أصله من طَبعِ السَّيف، وهو اتِّخاذ الصورة المخصوصة في الحديد، وكذلك الطَّبيعةُ والضَّريبةُ اعتبارًا بضَربِ الدَّراهم، والنَّحيتةُ اعتبارًا بالنحت، والنَّجرُ اعتبارًا بنجرِ الخشب، والغَريزَةُ اعتبارًا بما غُرِزَ عليه. **كل ذلك اسم للقوّة التي لا سبيل إلى**

تَجافَيتُ عَن **طَبعِ اللِئامِ** لِأَنَّني *** أَرى البُخلَ يُشْنا وَالمكارِمَ تُطلَبُ

وَأَعلَمُ أَنَّ الجودَ في الناسِ **شِيمَةٌ** *** تَقومُ بِها الأَحرارُ **وَالطَّبعُ يَغلِبُ**

انظر: عنترة بن شداد، ديوان عنترة، جمع: خليل وأمين الخوري، ص١٤.

(١) **الجِبِلَّة**: لها وجهان متصلان بالخَلْق والخُلْق، فهي بكسر الجيم تعني الخُلْق والطَّبع، وبفتحها الخَلْق والتَّقدير. يُقال: "جَبَل اللهُ الخَلْقَ يَجْبِلُهم: ويَجْبُلهم: خَلَقَهم. وجَبَلَه على الشيء: طَبَعه. **وجُبِلَ الإنسانُ على هذا الأمر أي طُبِع عليه**". ومن ذلك قول الأعشى الكبير [ت٧هـ]:

ذاكَ فِي **جَبْلِكُمْ لَنَا** وَعَلَيْكُمْ *** نِعْمَةٌ لوْ شَكَرْتُمُ الإِنْعَامَا

انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٣٧٠، و ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، تح: محمد حسين، ص٢٤٩.

(٢) **السَّجِيَّة**: مأخوذة من معنى السُّكون. يقال: "سجَا يسجو إذا سَكَن"، **أي ما سَجا عليه طَبَعهُ وثَبت**. ومن ذلك قول حسان بن ثابت [ت نحو ٤٠هـ]:

قَومٌ إِذا حارَبوا ضَرُّوا عَدُوَّهمُ *** أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشياعِهِمْ نَفَعوا

سَجِيَّةٌ تِلكَ مِنهُم غَيرُ مُحدَثَةٍ *** إِنَّ الخَلائِقَ، فاعلَمْ، شرُّها البِدَعُ

انظر: الزمخشري، أساس البلاغة، ص٢٠٤. و عبدالله البستاني، البستان: معجم لغوي مطول، ص٤٨٣. و ديوان حسان بن ثابت، عناية: عبد أ. مهنا، ص١٥٢.

(٣) بوّبَ ابن جني في خصائصه بابًا حول **تعدد مباني مفردات الخُلُق في لغة العرب** فقال: "باب في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني. هذا فصل من العربيّة حَسن كثير المنفعة، قويّ الدلالة على شرف هذه اللغة. وذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كل اسم منها، فتجده مُفْضِيَ المعنى إلى معنى صاحبه. وذلك كقولهم: **(خُلُق الإنسان)** ...". وبعدما سرد جملة من مباني المفردات، قال: "**فالأصول مختلفة، والأمثلة متعادية، والمعاني مع ذينك متلاقية**".

انظر: ابن جني، الخصائص، ج٢، ص١١٣-١١٨.

(٤) يسرد الهمذاني [ت٣٢٠هـ] في كتابه "**الألفاظ الكِتَابية**" جملة من هذه المفردات، فيقول: "فلانٌ دَمِثَ الخَلِيقة، وسَهلُ الخَلِيقة، وسَمْحُ السَّجيّة، ومَحْضُ الضَّريبة، ومُهذَّبُ الأخلاق، ومُقَوَّم الشِّيمِ والأخلاق، وشَريفُ الأخلاق، وسَمحُ الأخلاق، ويسرُ الأخلاق، ومَحمودُ الشِّيم، وحميدُ السَّجايا، ومَرضيُّ الأخلاق، وكريمُ الخِيمِ، ولطيفُ الدِّيدن والعادة، وفلانٌ حُلوُ الغرائزِ، والطَّبعِ، والسَّلائقِ، والنَّحائزِ، والضرائبِ. والشِنْسِنَة، والنَّحِيزة، والنَّبيثة، والجِبِلَّة، والنَّحيتة، والسَّليقة، والغرِيزة، والسُّوس، والتُّوس، والدَّيدن **كلها بمعنى واحدٍ أي: الطَّبِيعة والعَادة**".

انظر: عبدالرحمن الهمذاني، كتاب الألفاظ الكتابية، تح: أميل بديع يعقوب، ص١٠١/ ١١٦- ٢٤٩/١٦٢.

تغييرها، والشِّيمَة اسم للحالة التي عليها الغريزة اعتبارًا بالشامة التي في أصل الخِلْقَة، والسَّجِيّةُ اسم لما سجى عليه الإنسان من قولهم عين ساجِيَة، أي فاترة خِلْقة، **وأكثر ما يستعمل ذلك كله فيما لا يمكن تغييره**" (١).

فالخُلْق ما طُبِعَ عليه المرء شِــيمَة وجِبلَّة فيه يأتيه طَبِيعة من أصــل خِلْقَته. قال ابن دريد [ت٣٢١هـ]: "والخُلْق: **خُلْق الإنسَـــان الذي طُبِعَ عليه.** وفلانٌ حَسَـــن الخُلُق والخُلْق وكريم الخَلِيقة"(٢). وقال ابن فارس [ت٣٩٥هـ]: "الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تَقْدِيرُ الشَّيء، والآخر مَلاسَة الشَّيء. فأمَّا الأول فقولُهم: خَلَقْتُ الأديمَ للسِّقَاء، إذا قَدَرْتَه.. **ومن ذلك الخُلُق، وهي السَّجِية؛ لأنَّ صَاحبَه قد قُدِّر عليه**" (٣) (٤).

بقي أن نُشــير إلى **عدم دخول أفعال (التَّعوُّد)** و **(التَّطبُّع)** التي ترســخ بالتكرار في المعنى الوضــعي لمادة (الخُلْق)، إذ يقتصــر إطلاقها حقيقة على ما كان مطبوعًا في الخِلقة. أمَّا ما أتى بالتَّطبُّع **فيدخل فيها مجازًا**. وشاهده من شعر العرب (٥)، أنَّ زُهير بن أبي سُلمى [ت٦٠٩م] لمَّا أراد المبالغة في امتداح هَرِم بن سِنان [ت نحو ٦٠٨م] وقومه، **عدَّ النجباءَ منهم كِرام الأخلاق (بالتَّعود)**، فقال:

عَـوَّدتَ قَـومَـكَ إنَّ كُـلَّ مُـــــبَرِّزٍ *** مَـهـمـا **يُـعَـوَّد شـــيـمَـةً يَـتَـعَـوَّدِ**
حَـزمًـا وَبِـرًّا لِـلإِلَـهِ وَشـــيـمَـةً *** تَعفو عَلى خُلُقِ الـمُسيءِ الـمُفسِدِ (٦)

---

(١) الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٩٦.

(٢) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج١، ص٦١٨.

(٣) ابن فارس، مقاييس اللغة، ص٢٦٨.

(٤) نلحظ أنَّ فلاسفة الأخلاق والأطباء أبدعوا بيانيًا في توظيف مفردات الأخلاق للتعبير عن الفضائل المطبوعة، ومن ذلك قول إخوان الصفا [ت +٣٧٠هـ]: "واعلم يا أخي بأن أخلاق بني الدنيا وسجاياهم إنما جعلت طبيعة مركوزة في الجبلة؛ لأنهم وردوا إلى الدنيا جاهلين غير مستعدين لها"، وقول أبي حيَّان التوحيدي [ت٤١٤هـ]: "وما منعهم من هذا إلا الأنفس الكريمة، والطِّباع المعتدلة، والشكائم الشديدة، والأرواح العتِقة، والعادات الرضيَّة"، وقول عبداللطيف البغدادي [ت٦٢٩هـ]: "وهذا لهم في أصل فِطَرهم، ومعجونٌ بجبِّلتهم، كما ترى الصبيَّ يُحاكي شِيَم والديه ومؤدِّبه".
انظر: عبداللطيف البغدادي، كتاب النصيحتين للأطباء والحكماء، تح: محمد كامل جاد، ص٩٢، ١٦٦. و إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفاء وخِلَّان الوفاء، تح: خير الدين الزركلي، ج١، ص٢٧٢. و أبو حيَّان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تح: هيثم الطعيمي، ج١، الليلة السادسة، ص٨١.

(٥) لتحقيق هذه المفاهيم عند العرب لابد من اطِّراح الانطباعات المسبقة، وتنقية الأقوال ممَّا لحقها من روافد غير عربية، وهذه طريقة معروفة لدى القدماء، فالتوحيدي ينقل سؤالًا يحوم حول مسألتنا، هذا نصه: "هل تعرف العرب الفرقَ بين الروح والنفس في كلامها؟ وهل في لفظها من نظمها ونثرها ما يدل على ما بينهما، أو هما كشيء واحد لحقه اسمان؟"، فسأل أولًا عن وجود المعنى في كلام العرب، ثم طلب برهانًا عليه من نظمها أو نثرها يدل على التفريق بينهما.
للاستزادة، انظر: أبو حيَّان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تح: هيثم الطعيمي، ج٢، الليلة الرابعة والعشرون، ص٢٣٧.

(٦) زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير بن أبي سلمى، تح: علي حسن فاعور، ص ٤٧.

ويسمي هذا الصنيع عند العرب **تخلقًا** لا خُلقًا، كما قال ذو الإصبع العدواني [ت+٧٠هـ] وهو من الشعراء المخضرمين:

كـلُّ امرئٍ **راجعٌ** يومًـا **لشِــيمَتـِهِ** *** وإنْ **تخـلَّـق** أَخـلاقًـا إلى حِـينِ [١]

وقال الشاعر القرشي العرجي [ت١٢٠هـ]:

يـا أَيُّـهـا الـمُـتَـحَلِّـي غَـيـرَ **شِـيـمَـتِـه** *** وَلا جَـديـدَ إذا لم يُـلْـبَـسِ **الخَـلَـقُ**
اِرْجِـعْ إلى **خُـلْـقِـكَ الـمَـعْروفِ** دَيْـدَنُـهُ *** إِنَّ **الـتَـخَـلُّـقَ** يَأتي دُونَـهُ **الخُـلُـقُ** [٢]

والمعنى الـمُراد يشهد له الواقع العملي في الغالب، ويتفاوت رسوخه بحسب الرياضة والمجاهدة النفسيَّة [٣]، لكنَّه ليس مراد العرب -كما تقدم- في الأصل الوضعي لمادة (الخُلْق)، [٤] لأنَّ الفضائل والرذائل تُفطر في المَشِيمة -كما تقول العرب- [٥]. أمَّا الفلاسفة فيتنازعون في ذلك على خلافٍ بينهم.

ونستخلص من المعاني والدلالات السابقة ما يلي:

---

(١) ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، تح: يوسف طويل، ج٢، ص٨.

(٢) استدلَّ التوحيدي من هذين الشاهدين "أنَّ النزوع عن الخُلق شاقٌّ [ولذلك] قالوا: تخلَّق فلان". **قلتُ: وهذا التعليق من التوحيدي ينحى منحًا جالينوسيًا، وليس على أصول الوضع اللغوي لمادة "خلق". فالخُلق عند العرب ما كان مطبوعًا في الجِبِلَّة.**

انظر: ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، ج٢، ص٥٦١. و أبو حيَّان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تح: هيثم الطعيمي، ج١، الليلة التاسعة، ص١١٧.

(٣) "الكنَّ الحضَّ على إصلاح الخُلْق وتهذيب النفس لم يقع من الحكماء بالعبث والتجزيف، بل لمنفعة عظيمة موجودة ظاهرة".

انظر: أبو حيَّان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تح: هيثم الطعيمي، ج١، الليلة التاسعة، ص١١٢.

(٤) أول من وقفنا عليه يُلحق "العادة" بأصل مادة (الخُلْق) في اللغةِ الراغبُ الأصفهاني [ت٥٠٢هـ] بقوله: "ويُجعلُ الخُلْق تارةً من الخَلاقة وهي المَلاسَة، **فكأنَّه اسم لما مرِن عليه الإنسان من قوله بالعادة". ويبدو أنَّ تأثُّره بكتب الأخلاق الجالينوسية دفعته لتأصيلها في اللغة والشريعة** كما يظهر من مجمل كتاباته.

انظر: الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٩٧.

(٥) **يشهد لذلك** خبر وفاة حاتم الطائي [ت٦٠٥م] الذي أورده الراغب الأصفهاني في محاضراته: "لـمَّا مات حاتم **تشبَّه به أخوه**، فقالت له أُمه: لا تَتعنَّ فيما لا تناله، فقال: وما يمنعني؟ وقد كان شقيقي وأخي من أمي وأبي؟ فقالت: إنِّي لما ولدته كنتُ كلَّما أرضعته أبى أنْ يرضع **حتى آتيه بمن يشاركه** فيرضع الثدي الآخر، وكنتَ إذا أرضعتك ودخل صبي بكيت حتى يخرج!".

انظر: الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تح: عمر الطباع، ج١، ص٦٦٥.

أولًا: **أنَّ الخُلُق لغةً يتصل بالأصل الخَلْقي**، فهو فعل طبيعي تلقائي يأتيه الإنسان **دون تفكير عقلي أو إيحاء نفسي**.

ثانيًا: تحث العرب على الأخذ بمكارم الأخلاق **تطبُّعًا وتعودًا**، دون أن تلحقه بالدلالة الوضعية لمادة (الخُلْق). ولا تعده (**طبيعة ثانية مكتسبة**) كما يرى جالينوس.

ثالثًا: لا تُشير الدلالات اللغوية لمادة (الخُلْق) إلى "الأفعال" إطلاقًا، وإن كانت العرب تعد الأفعال الأخلاقية الظاهرة في عداد الفضائل الأخلاقية (١)، وهذا متوافق مع رأي جالينوس والفارابي ومخالف لرأي أرسطو.

رابعًا: لا نجد أي إشارة في التعريف اللغوي إلى أنَّ **الخُلْق حالٌ للنفس** (٢) كما عند جالينوس، ولا **حالٌ للنفس العاقلة** كما عند أرسطو، **ولهذا الأمر دلالته** عند المقارنة مع التعريفات اليونانية.

---

(١) لا يطلق أبو حيَّان التوحيدي على "الأفعال" صفة "الخُلق" **إلا إذا كانت مغروسة في النفس**، فالتوحيدي يفرق بين الخُلق (الفطري) وبين الفعل بالفكرة، فالأول ما جُبِل عليه الإنسان فيُسمى خُلُقًا، **أما الثاني فهو فعل نتج من تأمل "النفس العاقلة"**، وهناك صفات تتأرجح بينهما. فمثلًا يقول عن: "**العدل والجَور قد يكونان خُلُقين بالفطرة، ويكونان فعلين بالفكرة وجانباهما بالفعل ألصق، وإلى الاكتساب أقرب**". ثم يسرد التوحيدي الفضائل والرذائل ويحللها بين ما يقع في النفس (خُلق)، وبين ما يوجد بالفعل أو غيره. ويضع قاعدة للتفريق بينهما، فيقول: "**وفي الجملة، كل ما يمكن أن يقال فيه للإنسان "لا تفعل هذا"، و "أقلل من هذا وكف عنه" فإنه في باب الأفعال أدخل، وكل ما لم يَجُزْ أن يقال ذلك فيه، فهو في باب الأخلاق أدخل**". وهذه النظرة التحليلية عند التوحيدي ناتجة عن ثلاثة مصادر: **الأول**: الموروث العربي –دون أن يستشهد له بشعر أو نثر–. **الثاني**: الأخذ بمفهوم العرب وتعريف جالينوس بأنَّ الخُلق ما كان جبلة وطبعًا. **والثالث**: الأخذ برأي أرسطو: **الأخلاق بالعادة، وهي تنتج عن فكر وتأمل وإرادة**، وتنسب للأفعال. ولهذا ختم التوحيدي بقوله: "**وإنما اختلفت مراتب هذه الأخلاق؛ لأنها تارة تصفو بقوة النفس الناطقة، وتارة تكدر بالقوتين الأخرتين [النباتية والحيوانية]، ولبعضها حِدة بالزيادة، ولبعضها كَلة بالنقص**".

أمَّا الراغب الأصفهاني، فأطلق على "الأفعال" مسمَّى "الأخلاق" متجاوزًا الحظر العربي والجالينوسي –إذ لا تشهد نصوص العرب وجالينوس على ذلك– مؤسسًا لها من الشريعة الإسلامية بحديث لم نجد لفظه، بقوله: "وقد رُوي: «أفضل الأفعال: الخُلْق الحسن».. فجعل مرة [الخُلْق] اسمًا للفعل الصادر عنه باسمه".

للاستزادة، انظر: أبو حيَّان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تح: هيثم الطعيمي، ج١، الليلة التاسعة، ص١١٣-١١٦. و الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٩٧.

(٢) قد يشكل على ما ذكرنا قول كُثيِّر عزَّة [ت١٠٥هـ] أو مالك بن عمير –وهو أسبق منه بقليل– قوله:

ومن يَبتدع ما ليسَ من سُوسن نفْسِه *** يدَعْه **ويَغلبْه على النَّفس خِيمُها**

فكيف ينسب الطبيعة الخُلقية (الخِيم) إلى "النفس"؟ **ونحن نزعم أنَّ العرب لا تقول ذلك!** وجوابنا على ذلك: أنَّ هذا محمول على التأثر بالكتاب الكريم، الذي تكرر فيه ورود النفس باعتبارها محل التقوى والفجور، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾، سورة الشمس (الآيات ٧-١٠). وهناك شاهد آخر أورده ابن قتيبة الدينوري، [ت٢٧٦هـ] عن أبي الفضل العباس الريَّاشي [ت٢٥٧هـ] وتخريجه أيسر من قول كثير عزَّة **لاحتمال تأثره بالمترجمات اليونانية**.

للاستزادة، انظر: ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، تح: يوسف طويل، ج٢، ص٩-١٠.

خامسًا: عدم ذكر العرب الأوائل (قبل الإسلام) النفسَ موضعًا لصدور الأخلاق كما عند اليونان يتسق مع مذهب غالبيتهم بأنَّ **النفس لن تحاسب على أفعالها الأخلاقية بعد فنائها.** فالعرب ينظرون للنفس نظرات متعددة [١]، أشهرها: "أنَّ لفظة **نفس هي بمعنى الإنسان** والجسد في الشعر الجاهلي القديم، أمَّا الروح فبمعنى النفس" [٢]. وإذا ما تجاوزنا مشكلة التسمية أهيَ نفس أو روح [٣]، لن نجد كذلك نصوصًا -في حدود اطِّلاعنا- تفيد بتعلق أي **فعل أخلاقي طبعًا أو تطبعًا، خيرًا أو شرًا بالنفس أو الروح. وإن كنتُ أميل إلى وجود ذلك دون الوقوف على شاهده.**

ومن الطبيعي **أنَّ غالبية العرب لا تقول بخلود النفس أو الروح** بعد مفارقتها الجسد؛ لأنَّهم ينكرون البعث الروحي والجسدي [٤] ﴿مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾[٥] **سواء من يقول بوجود نسمة مفارقة للجسد ومن لا يقول بذلك.** وسواء عبد الآلهة أو أنكرها (**الدهرية**) [٦]. **وهناك أقليَّة دينية (غالبيتهم من الحنفاء) تؤمن بالبعث والحشر الجسدي بعد الموت**[٧]، دون أن نجد في أخبارهم تفصيلًا لآلية الحساب والجزاء؛

---

(١) يلخص جواد علي [ت١٩٨٨م] آراء العرب الأوائل لأمر النفس على النحو التالي: **أولها:** القائلون بأن النفس والروح أمر واحد في مقابل الجسد. **وثانيها:** أنَّ النفس بها حياة العقل، والروح بها حياة الجسد والنفس. ويستدلون على ذلك بأنَّ النائم تُقبض نفسه دون روحه. قلتُ: لم يورد جواد علي دليلًا على هذا من شعر العرب أو نثرهم، **ولعله ممَّا ألحقه اللغويون المتأخرون بالعرب الأوائل بعد دخول الإسلام،** لقوله تعالى ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾، سورة الزمر (آية ٤٢). **وثالثها:** أنَّ النفس هي دم الإنسان، ولها شواهد كثيرة في شعر العرب. ولأبي حيَّان التوحيدي كلام ماتع ومفيد حول الفروق بين النفس والروح عند العرب، فراجعه في موضعه من ليالي "**الإمتاع والمؤانسة**".

انظر: جواد علي، المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٦، ص١٣٦-١٣٧. و أبو حيَّان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تح: هيثم الطعيمي، الليلة الرابعة والعشرون، ج٢، ص٢٣٨.

(٢) كانت غالبية العرب ترى وجود ثنائية في الإنسان من جسد/ جسم أي مادة، وشيء لطيف ليس بمادة؛ وإنما روح أو نفس، وبانفصالهما يقع الموت، لذلك تقول العرب: "**زهقت نفس فلان**"، أي خرجت روحه.

للاستزادة، انظر: جواد علي، المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٦، ص١٢٣، ١٣٧-١٤١.

(٣) الخلط بين النفس والروح رأي قديم، دحضه جالينوس في كتابه "**آراء أبقراط وأفلاطون**"، وهو من نقل حبيش بن الأعسم [ت٢٩٧هـ]، ويتألف من عشر مقالات مفقودة، واعتمد عليه جالينوس عند تأليفه كتابه "**في الأخلاق**" آخر حياته.

(٤) جواد علي، المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٦، ص١٢٣-١٣٥.

(٥) سورة الجاثية، آية (٢٤).

(٦) الدهرية: هم القائلون بدوام بقاء الدهر، وعدم وجود إله واحد أو متعدد. ويشير بعض الإخباريين إلى وجودهم في العرب، ومنهم شدَّاد بن الأسود الليثي [ت+٣هـ].

للاستزادة، انظر: جواد علي، المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٦، ص١٤٥-١٥٣.

(٧) منهم حاتم الطائي [ت٥٧٨م]، وزهير بن أبي سلمى [ت٦٠٩م]، وأعشى قيس [ت٦٢٥م]، وأمية بن أبي الصَّلت [ت٦٢٦م] كما يظهر من شعرهم.

للاستزادة، انظر: المرجع السابق، ج٦، ص١٣٢-١٣٣.

أهو اقتصاص على موبقات الأفعال أم الاعتقاد؟ (١). والذي يظهر من النصوص **أنَّ العرب لا ترى الآلهة مصدرًا للفعل الأخلاقي البتَّة**، وإنما "تعبدها طلبًا للمنافع الدنيوية أو خوفًا من انتقامها" (٢).

سادسًا: مع عدم وقوفنا على نصوص مُبكِّرة وغير منحولة تُفيد **بصدور الخُلْق عن النفس** في التراث العربي، نجِدُنا -مضطرين- **للوقوف على حدود معاني مفردات الأخلاق في المعاجم العربية المبكرة، والتي تحيل إلى صدورها بالطَّبع**. وليس من قبيل الصدفة أن تكون مادة إيجاد الشيء (الخَلْق) هي ذاتها مادة (الخُلْق)، فهذا يقيم جسرًا ممتدًا **بين الفعل الأخلاقي والطبيعة المادية للإنسان** (٣).

---

(١) وقبل العرب، اختلف فلاسفة اليونان في خلود النفس، فأفلاطون يرى خلودها في "**محاورة فيدون**"، وأرسطو يرى فناءها في كتابه "**في النفس**"، وجالينوس توقف في المسألة، وقال: "**لا أملك القول ما إذا كانت النفس فانية أم خالدة؟**".

للاستزادة، انظر: إيمان محمد عبدالقادر، ‹‹دراسة مقارنة لفكر جالينوس الأخلاقي في المصادر اليونانية والترجمات العربية››، ص٢٣٨-٢٤٨.

(٢) هكذا يرى جواد علي، ونجد خلاف ذلك، منها قول زهير بن أبي سلمى [ت٦٠٩م]:

حَزمًا **وَبِرًّا لِلإِلَهِ وَشيمَةً** *** تَعفو عَلى خُلُقِ المُسيءِ المُفسِدِ

فقدَّم طاعة الإله على شيمته المفطورة في أصل خلقته، والأولى تقديم الطبيعة؛ لأنه لا فضل له فيها، لكنَّه قدَّم طاعة الإله **وكأنه يشير لكونها دافع فعل العفو عند ممدوحه هرم بن سنان**. والموضوع شائك يحتاج إلى دراسات معمَّقة، تناولها جواد علي في موسوعته بإشارات عابرة.

للاستزادة، انظر: جواد علي، المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٦، ص١٢٨. وزهير بن أبي سلمى، ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٤٧.

(٣) يلتقط الراغب الأصفهاني [ت٥٠٢هـ] هذا الملمح ليفرق بين **ظاهر الأفعال كالجود، وباطنها كالسخاء**، ولا يحيلها لأصل لغوي، ثم يستشعر حرج عدم مسبوقيته إلى هذا الرأي فيقول: "**وإن كان قد يسمَّى كل واحد باسم الآخر**".

انظر: الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٩٦.

المبحث الثاني: مفهوم الأخلاق بعد تلقي تراث فلسفة الأخلاق اليونانية.

مدخل تعريفي بتراث فلسفة الأخلاق اليونانية في الحضارة العربية الإسلامية.

ترجم النقلة الأوائل معظم ما وجد من تراث فلسفة الأخلاق اليونانية بشكل لافت يدعو للدهشة والتأمل، فمنذ اتصال السريان واليهود وشعوب المشرق عمومًا بالحضارة اليونانية في عهدها الهلنستي [٣٢٣-٢٧ق.م]، وما تلا ذلك من وراثة الحضارة الرومانية تراث اليونان، **لا نجد -في حدود اطِّلاعنا- ترجمة لتراث فلسفة الأخلاق اليونانية باللغات السريانية أو الفارسية أو العبرية حتى مطلع القرن الثامن الميلادي.**

ونلحظ أنَّ بداية ترجمة تراث فلسفة الأخلاق اليونانية بشكل مؤسسي ومنتظم كانت في عصر الخليفة العباسي المأمون [١٩٨-٢١٨هـ] من اليونانية للعربية، أو عبر السريانية كوسيط بين اللغتين.

عرفت الحضارة العربية الإسلامية تراث أرسطو الأخلاقي بصحيحه ومنحوله، وترجمت ما وقع تحت يديها من مخطوطات، وأشارت إلى مالم تقف على أصوله (١).

أمَّا تراث أفلاطون الأخلاقي في الحضارة العربية الإسلامية (٢)، فتُرجم له عدد لا بأس به من المحاورات (٣)، منها ما فُقد في اليونانية.

---

(١) من تراث أرسطو الأخلاقي غير المترجم كتاب "**الأخلاق إلى أوديموس**" أو ما يسميه العرب "**المقالات الصغار في الأخلاق**"، وكتاب "**المقالات الكبار في الأخلاق**". أوردها بطليموس الغريب والكِندي في كمية كتب أرسطو ومراتب قراءتها.

للاستزادة، انظر: مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، ج٢، ص٥٨٤. و الكِندي، رسائل الكِندي الفلسفية، تح: محمد عبدالوهاب أبوريدة، ج١، ص٣٦٩. وغيرها.

(٢) في كيفية انتقال تراث أفلاطون إلى الحضارة العربية الإسلامية، ننصح بالرجوع لما كتبه المرحوم د.علي سامي النشار في دراسته عن "**فيدون في العالم الإسلامي**" ضمن كتاب الأصول الأفلاطونية: فيدون، ص٢٧٣-٢٨١.

(٣) تبلغ محاورات أفلاطون نحو (٣٦) محاورة، تُرجِم منها على وجه القطع سبع محاورات هي: **السياسة، والنواميس، وطيماوس، وفيدون، وأقريطون، وسوفِسطُس، وسيطيطس**. وكلها بقي منها نصوص عدا المحاورتين الأخيرتين. وهناك نصوص أخرى لم تصل إلينا، ولا نعلم -على وجه اليقين- هل هي محاورة أو جزء من محاورة؟ كـ"**كتاب المناسبات**" الذي رآه النديم بخط يحيى بن عدي. ويحكي ابن أبي أصيبعة [ت٦٦٨هـ] أنَّ ما بلغه من أسماء مؤلفات أفلاطون بلغ ستة وخمسين كتابًا! وقطعًا لم يؤلف أفلاطون هذا القدر من المؤلفات، فلعلها من الزيادات المنحولة.

أمَّا هل نُقِلت هذه المحاورات كاملة أم مختصرة؟ فلا نستطيع الجزم به لفقدانها، والنديم في "**الفهرست**" لم يذكر قدر المقالات المنقولة من هذه المحاورات عدا "**محاورة طيماوس**" فذكر أنها في ثلاث مقالات، ويظهر من تلخيص الفارابي لـ "**محاورة النواميس**" أنها نُقلت كاملة، وكذا من تلخيص ابن رشد لـ "**محاورة السياسة**".

وأجزم -من غير برهان- أنَّ النقلة الأوائل لم يترددوا في نقل ما وجدوه من محاورات للعربية؛ لِعظم قدر أفلاطون الإلهي في نفوسهم واتساق فلسفته مع روح الحضارة العربية، لكن يبدو أنَّ هذه المحاورات لم تكن متوفرة في الأديرة والمدارس الفلسفية في الشام والإسكندرية. علاوة على أنَّ أفلاطون لم يُقيَّض له مترجم ينشط في نقل نصوصه كما كان صنيع حنين بن إسحاق مع جالينوس وابنه إسحاق مع أرسطو، ولولا عناية يحيى بن عدي -الأرسطي- بإصلاح ونسخ ما نُقِل من هذه المحاورات الأفلاطونية لربما فُقِدت مبكرًا.

أما تراث جالينوس فقد نال الحظ الأوفر من العناية، فقد نقلت معظم أعماله العلمية والفلسفية [(١)]. أما باقي المدارس الأخلاقية اليونانية فالأغلب أن نصوصها فقدت في أصلها اليوناني منذ وقت مبكر، ولم يبق منها سوى شذرات يسيرة زخرت بها كتب الحكم الفلسفية مثل "**آداب الفلاسفة**" لحنين بن إسحق [ت٢٦٤هـ]، و"**صوان الحكمة**" لأبي سليمان السجستاني [ت٣٩١هـ]، و"**مختار الحكم ومحاسن الكلم**" للمبشر بن فاتك [ت٤٨٠هـ]، **ونستثني مما ذكرنا الفلسفة الأبيقورية**، فقد وصلت بعض مفاهيمها دون نسبة إليها، متدثرة بوشاح أفلاطوني، كما لدى أبي بكر الرازي في "**الطب الروحاني**"، وفخر الدين الرازي في "**ذمّ لذَّات الدنيا**"، **وأما الفلسفة الرواقية** فلم تحظ في شقها الأخلاقي بعناية النقلة العرب بصورة تدعو للبحث والتساؤل. ومع ذلك لا تخلو كتب فلسفة الأخلاق من إشارات رواقية تصريحًا أو تضمينًا؛ كالحث على عدم الخوف من الموت، والعيش في وئام مع الطبيعة [(٢)].

للاستزادة، انظر: النديم، الفِهرست، ج٢، ص١٥٥-١٥٦. و أفلاطون، الأصول الأفلاطونية: فيدون، ترجمة وتعليق: علي سامي النشار وآخرون (عن الفرنسية). ص٢٧٦.

(١) يُشير د.عبدالرحمن بدوي إلى ثلاث رسائل لجالينوس ضاع أصلها اليوناني، ولم يتبقى إلا أصلها العربي، وهي: جوامع لمحاورات أفلاطون (تحديدًا جوامع محاورة طيماوس) من أصول مخطوطة، وجوامع كتاب السياسة لأفلاطون من نصوص تراثية، ومختصر كتاب الأخلاق.

للاستزادة، انظر: عبدالرحمن بدوي، أرسطو عند العرب: دراسة ونصوص غير منشورة، ط٢، ص٨-٩.

(٢) **للاستزادة حول الموروث الأخلاقي الأرسطي في الحضارة الإسلامية**، انظر: النديم، الفِهرست، ج٢، ص١٦٠-١٧٢. و أبو نصر الفارابي، الجمع بين رأيي الحكيمين، تح: د.ألبير نوري نادر، ص٩٥-٩٧. و د.عبدالرحمن بدوي، دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب، ص٨. و أرسطوطاليس، الخطابة، ص٢٧-٤٥، ١٢١-١٣١. و أرسطوطاليس، الأخلاق، تر: إسحاق بن حنين، تح: د.عبدالرحمن بدوي، ص٣-٤٧.

وللاستزادة حول الموروث الأخلاقي الأفلاطوني في الحضارة الإسلامية، انظر: د.عبدالرحمن بدوي، دراسات ونصوص في الفلسفة، ص٩. و أبو نصر الفارابي، "تلخيص النواميس" ضمن كتاب الرسائل الفلسفية الصغرى، تح: د.عبدالأمير الأعسم، ص٣٤٣-٣٨٠. و أبو الوليد ابن رشد، الضروري في السياسة مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص٧٦، ٨٩، ١١٩، ١٤٤، ١٥٣، ٢٠٤. و أبو نصر الفارابي، "فلسفة أفلاطون وأجزاؤها ومراتب أجزائها من أولها إلى آخرها" ضمن كتاب أفلاطون في الإسلام، تح: د.عبدالرحمن بدوي، ص٣-٣٣.

وللاستزادة حول الموروث الأخلاقي السقراطي في الحضارة الإسلامية، انظر: أبو بكر الرازي، "السيرة الفلسفية" ضمن رسائل فلسفية، تح: المستشرقين بول كراوس، ج١، ص٩٧-١١١. وقد وعد كراوس بطباعة الجزء الثاني من رسائل الرازي الفلسفية، وكذلك رسالته الدكتوراه الثانية في جامعة السوربون عن محمد بن زكريا الرازي (وقد رآها د.عبدالرحمن بدوي مصفوفة على الآلة الكاتبة). إلا أنه وجد منتحرًا في شقته في الزمالك مساء يوم الخميس [١٤سبتمبر١٩٤٤م]، في ظروف وصفت بالغامضة لمستعرب مرموق مثل بول كراوس، وانتقلت أوراقه ومسوداته إلى المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة حينها كما أفاد بذلك تلميذه د.بدوي، ثم انتقلت مؤخرًا عن طريق ابنته إلى مكتبة جامعة شيكاغو بالولايات المتحدة. للاستزادة، انظر: د.عبدالرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٤٦٤-٤٦٧. و نجيب العقيقي، المستشرقون، ج٢، ص٧٦٣-٧٦٥.

وللاستزادة حول الموروث الأخلاقي الجالينوسي في الحضارة الإسلامية، انظر: جالينوس، "مختصر من كتاب الأخلاق" ضمن كتاب رسالتان في فلسفة الأخلاق، تر: د.فيصل بدير عون، ص٩٧-١٢٨. و أبو بكر الرازي، الطب الروحاني، تح: د.عبداللطيف العبد، ص٣٢-١٢٤. و حنين بن إسحق، "رسالة حنين بن إسحق إلى علي بن يحيى في ذكر ما تُرجم من كتب جالينوس بعلمه وبعض ما لم يترجم" ضمن كتاب دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب، تح: د.عبدالرحمن بدوي، ص١٤٧-١٨٦. و ثابت بن سنان بن قرة المتطبب، مخطوط تهذيب الأخلاق، أخلاق، نسخ عادي، ٨٣٤هـ، الرباط: الخزانة العامة ٩٥٤ق، نسخة أصلية، ص٢٩٢.

وللاستزادة حول الموروث الأخلاقي الأبيقوري في الحضارة الإسلامية، انظر: د.حسان عبدالجليل شاهر، "فلسفة [أبو بكر] الرازي الأخلاقية"، عالم الفكر، الكويت، العدد الثاني، م٤٣، ديسمبر٢٠١٤، ص٨٥-١١٨. و أبو بكر الرازي، الطب الروحاني، ص٥٣-٦٤. و فخر الدين الرازي،

وجرت محاولات لأسلمة مفردات ومفاهيم تراث فلسفة الأخلاق اليونانية، فنجد -على سبيل المثال- أنَّ إسحاق بن حنين في ترجمته لكتاب "**الأخلاق إلى نيقوماخوس**" لأرسطوطاليس، يذكر في الفصل العاشر من المقالة الأولى تساؤل أرسطو حول طرق تحصيل السعادة المتعددة؛ هل "**تأتي الإنسان بحظ من الله، أم بالبخت والإنفاق**"، ولا يورد الأصل اليوناني بالطبع لفظ الجلالة (الله) أو الإشارة إلى إله واحد، بل يذكر أنَّ تحصيل السعادة "**هبة تهبها الآلهة للناس**" (١).

وعند تحليلنا لمضامين تراث فلسفة الأخلاق اليونانية في الحضارة العربية الإسلامية، نجد تعريفين للأخلاق، **أحدهما لأرسطو** في كتابه "**الأخلاق إلى نيقوماخوس**" وهو الذي تشيع أصداؤه عند فلاسفة الإسلام (الكندي، الفارابي، ابن سينا، ابن باجَّة، ابن رشد) (٢)، **والآخر لجالينوس** في كتابه "**في الأخلاق**" وهو الشائع نصًا ومفهومًا في مصنفات "**تهذيب الأخلاق**" لابن عَدي [ت٣٦٤هـ] وثابت بن سنان [ت٣٦٥هـ] ومسكويه [ت٤٢١هـ]، وفي مصنفات الطب ذات المضامين الأخلاقية كـ"**الروضة الطبية**" لأبي سعيد ابن بختيشوع [ت +٤٥٠هـ]. وفي بعض مصنفات الأخلاق الشرعية المتأثرة بالفلسفة كـ"**الذريعة إلى مكارم الشريعة**" للراغب الأصفهاني [ت٥٠٢هـ]. وفيما يلي عرض تحليلي لتعريف جالينوس.

رسالة في ذم لذات الدنيا، ص٢١٢-٢٦٥.

(١) ونشير في المقابل إلى أنَّ كثيرًا من النقلة العرب والفلاسفة الإسلاميين عرضوا المقولات الأخلاقية اليونانية دون تأويل أو إضافة أو حذف، ونقلوها بنص ما جاءت بها المخطوطات.

للاستزادة حول الموروث الأخلاقي اليوناني المتأسلم، انظر: أرسطوطاليس، الأخلاق، تر: إسحق بن حنين، ص٢٧-٧٣. و أرسطوطاليس، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، تر: بارتلمي سانتهيلر (عن اليونانية)، و تر: أحمد لطفي السيد (عن الفرنسية)، ج١، ص٢٠٤.

(٢) تحتاج آراء ابن رشد الأخلاقية إلى دراسة تفصيلية، خصوصًا بعد ما أعاد د.أحمد شحلان نقل كتاب ابن رشد "**تلخيص كتاب الأخلاق النيقوماخية**" من العبرية إلى العربية من جديد؛ لأن هذا التلخيص تضمن آراء ابن رشد تعليقًا أو استدراكًا على أرسطو، بينما كتابه الآخر "**مختصر كتاب السياسة لأفلاطون**" يكتفي فيه بالاختصار دون التعليق إلا نادرًا، ومعلوم أنَّ جالينوس متابع لأفلاطون في آراء كثيرة منها تقسيمه للأنفس. فهل نتلمس ابن رشد ميَّالًا في المباحث الأخلاقية لأرسطو أم لأفلاطون؟

تعريف الأخلاق في تراث جالينوس [١].

يُعدّ تعريف جالينوس [٢] أشهر تعريفٍ لمفهوم الأخلاق في **أدبيات تراث الفلسفة الأخلاقية في الموروث العربي** [٣].

نقول، عَمد عميد النَّقلة العرب **حُنين بن إسحاق** [ت٢٦٠هـ] إلى ترجمة كتاب جالينوس "**في الأخلاق**" [٤] من اليونانية إلى العربية في الربع الثاني من القرن الثالث الهجري تقريبًا [٢٣٣-٢٤٣هـ] [٥].

---

(١) **ترك جالينوس (٢٣) رسالة وكتابًا في الأخلاق** بحسب فهرست كتبه. كلها فُقِدت في اليونانية عدا "**في تعرف المرء عيوب نفسه**" و "**في المسرَّات**". وحفظ لنا في الحضارة العربية مختصر كتابه "**في الأخلاق**".

(٢) من أروع ما سطَّره كُتَّاب السير الطبية في سيرة جالينوس، ما جاء عند ابن جُلجُل الأندلسي [ت+٣٧٧هـ]، وهي تصويرٌ **لشمم جالينوس واعتزازه** بنفسه: "ولم يكن في زمانه **أدأَبُ منه على قراءة كتاب**. وكان يأخذ نفسه كل يوم بدراسة جزءٍ من الحكمة، وينهض بالعشاء إلى المعلمين ويعرض ذلك عليهم، حتى كان أصحابه وأقرانه يلقبونه بـ (البديع القول) وبـ (قوَّال الأوابد). ولم يأخذ من الملوك شيئًا ولا واكلهم ولا داخلهم كما ذكر في صدر كتاب "**حيلة البرء**"، وكان غيَّارًا على جميع المؤلفين، فلم يسلم أحد من القدماء منه إلا **مشدوخًا**". **قلتُ**: وهذا يفسر وَلع جالينوس بالاستدراك على أبقراط وسقراط وأفلاطون وأرسطو والرواقية بحسب فهرست كتبه. وعن ذلك قال أبو بكر الرازي: "ولا أحسب نجا منه أحد من الفلاسفة ولا من الأطباء.. **وجل كلامه عليهم حق**، بل لو شئت لقلت كله حق". **وهذا ما حفَّزَ الأرسطيين للرد عليه في مدرسة الإسكندرية القديمة ومدرسة بغداد الأرسطية، خصوصًا الفارابي عندما شنَّع عليه افتراءه على أرسطو الكذب! وهذه كبيرة لا يرتضيها الفلاسفة المشاؤون.**

للاستزادة، انظر: ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، تح: فؤاد سيد، ص٤٣-٤٤. و أبو بكر الرازي، الشكوك على جالينوس، ص٢. و أبو نصر الفارابي، "رسالة للفارابي في أعضاء الحيوان وأفعالها وقواها" ضمن كتاب رسائل فلسفية، تح: عبدالرحمن بدوي، ص١٠٣-١٠٥. وللوقوف على مصادر ترجمة جالينوس في التراث اليوناني والروماني، انظر: إيمان محمد حامد عبدالقادر، ‹‹دراسة مقارنة لفكر جالينوس الأخلاقي في المصادر اليونانية والترجمات العربية››، ص١-٢٦.

(٣) كان مسكويه [ت٤٢١هـ] مفتاح انتشار آراء جالينوس الأخلاقية في الفضاء العربي الإسلامي، وقد يكون ابن زرعة [ت٣٩٨هـ] سبب انتشاره في الفضاء العربي المسيحي عندما أشاد في إحدى رسائله بثناء جالينوس على أخلاق النصارى بقوله: "**إن في شريعة القوم المنتسبين إلى المسيح أخيارًا كثيري الاستعمال للفضائل التامة، وليس ذلك في الرجال منهم فقط بل في النساء**". ويعلق ابن زرعة قائلًا: "وهذا رجل [جالينوس] محله في العلم معلوم، ومنزلته في عناد هاتين الشريعتين ظاهرة مكشوفة لمن نظر في كتبه وعرف ما يقوله فيها، **وأنه مع هذا لم يمكنه جحدها لأهل هذه النِحلة من الفضل في استعمال الفضائل**".

للاستزادة، انظر: المرجع السابق، ص٨٧.

(٤) عُثر على مختصر مخطوط هذا الكتاب النفيس، وعلى غيره من المصنفات الفلسفية النادرة ضمن مجموع يضم عشرين مخطوطًا، تعود ملكيتها للمحامي اللبناني الأديب جرجس بك صفا [١٨٤٩-١٩٣٣م]، ولا نعلم كيف آلت إليه، إذ المعروف من سيرته أنه لم يغادر لبنان، لكنه كان مشهورًا بجمع المخطوطات ووصفها والعناية بها منذ صغره. وكان أول إشهار لهذا المجموع عام ١٨٩٧م في مؤتمر المستشرقين بباريس، في مقالة نُشرت ضمن مجموعه الأبحاث المنشورة في المؤتمر للأب لويس شيخو [١٨٥٩-١٩٢٧م]، وظلت بحوزة جرجس بك حتى عام ١٩١٣م حين نَشر تعريفًا عنها في مجلة "المشرق". ويبدو أنها لفتت انتباه الأديب أحمد تيمور باشا [ت١٩٣٠م] فسارع إلى شرائها منه، وأُهديت إلى دار الكتب المصرية بعد وفاته، ونشرها پول كراوس عام ١٩٣٧م.

للاستزادة، انظر: جرجس بك صفا، "تعريف بعض مخطوطات مكتبتي"، مجلة المشرق، (مارس١٩١٣م)، ص١٧٤-١٧٥. و پول كراوس، دراسات في تاريخ الترجمة في الإسلام، ص٨. و خير الدين الزركلي، الإعلام، ج٢، ص١١٦.

(٥) ذكر حنين بن إسحاق (١٢٩) عملًا لجالينوس، ترجم منها مع طلابه نحو (٩٢) كتابًا ومقالة.

للاستزادة، انظر: حنين بن إسحاق، رسالة حنين بن إسحاق إلى علي بن يحيى في ذكر ما تُرجم من كتب جالينوس بعلمه وبعض ما لم يترجم، ضمن

وصدَّره جالينوس بتعريفه للخُلْق كما جاء في مختصره المتبقي (١)، فقال: "**الخُلْق حالٌ للنفس داعيةٌ الإنسانَ إلى أنْ يفعل أفعال النفس بلا رويَّة ولا اختيار**" (٢). وقبل الشروع في بيان التعريف والفرق بينه وبين التعريف العربي، **نَذكر أبرز من نقل هذا التعريف** بنصِّه أو معناه حتى نهاية القرن الخامس الهجري، فنقول أول من نقل هذا التعريف(٣)

كتاب دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب، تح: د.عبدالرحمن بدوي، ص١٤٩-١٧٩.

وأشار بروكلمان لوجود نسختين مخطوطتين من كتاب "**فهرس مصنفات جالينوس**" لقسطا بن لوقا البعلبكي [ت نحو ٣٠٠هـ]، في الإسكوريال (٧٩٥)، وأيا صوفيا (٣٥٠٩)، **ولم نجدها مطابقة لفهارس المكتبتين.**

وللاستزادة حول الدراسات الجالينوسية، ننصح بالرجوع إلى دراسات المستشرق الألماني ماكس مايرهوف [ت١٩٤٥م] التي نشرها فؤاد سيزكين [ت٢٠١٨م] في موسوعة "**تاريخ العلوم**" المجلدين الخامس والسادس حول "**الصيغة السريانية والعربية لكتب جالينوس**" و "**الصيغة العربية لرسالة مفقودة لجالينوس**" و "**حول مصادر أصلية ومزيفة لجالينوس تبعًا للمصادر العربية**" و "**مقتطفات من السيرة الذاتية لجالينوس في المصادر العربية**" وغيرها.

انظر: أحمد عبدالحليم عطية، جالينوس في الفكر القديم والمعاصر، ص١٨١.

(١) يحتل عام ١٩٣٧م مكانة فريدة في تاريخ الدراسات الجالينوسية عامة والفلسفية الأخلاقية خاصة. ففي هذا العام كشف العلَّامة المستعرِب پول كراوس [ت١٩٤٤م] عن مختصر كتاب "**في الأخلاق**" لجالينوس ضمن مخطوطات الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية. **والذي فُقِد أصله اليوناني**. يُرجِّح كراوس أنَّ المختصر من عمل أبي عثمان **سعيد بن يعقوب الدمشقي** [ت+٣١٠هـ]، فقد جاء في سيرته أنَّ له من الكتب "**مسائل جمعها من كتاب جالينوس في الأخلاق**". ونُشِر التحقيق في مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة حاليًا)، المجلد الخامس، الجزء الأول، عام ١٩٣٧م. ثم أفرده كراوس بالطباعة في المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية عام ١٩٣٩م تحت عنوان: "دراسات في تاريخ الترجمة في الإسلام"، في (٥٣) صفحة، نصفها مقدمة للمحقق. وكتب حينها المستشرق ريتشارد فالتزر [ت١٩٧٥م] ورقة بحثية بعنوان "**فلسفة جالينوس الأخلاقية من مصدر عربي مكتشف حديثًا**".

للاستزادة، انظر: پول كراوس، دراسات في تاريخ الترجمة في الإسلام، ص١-٢٤.

(٢) عُرف جالينوس بانتمائه الأخلاقي للتقليد الأفلاطوني الوسيط، خصوصًا في مقالته الأولى من كتابه "**في الأخلاق**"، فتعريفه للأخلاق يقترب من تعريف أريوس ديدموسي [ت+٦٠م] **للأخلاق كحال فطري لا عقلي** (سلوك تلقائي)، وهو التعريف الذي أخذت به "الأكاديمية الأفلاطونية الوسطى" في عصر الإمبراطور أغسطس [ت١٤م]، ويتلخص في كون الأخلاق "**سمة للجزء اللا عقلي من النفس**"، وهو عين تعريف فلوطرخس (بلوتارك) [ت١٢٥م] في رسالته "**عن الفضيلة الأخلاقية**". وتعد الرواقية التقليد الثاني الذي تأثَّر به جالينوس.

ومن حسن حظنا أنَّ كتاب "**في الأخلاق**" يمثل آخر آراء جالينوس في فلسفة الأخلاق، ذلك أنَّه ألَّفه "في روما بعد إتمام عامه السادس والخمسين، في الفترة [١٨٥-١٩٢م]" أي قبل وفاته ببضع سنين.

للاستزادة، انظر: ريتشارد فالتزر، "فلسفة جالينوس الأخلاقية من مصدر عربي مكتشف حديثًا" من كتاب "من أثينا إلى بغداد"، ص٩٩-١٠١.

(٣) يُشير بعض المحققين إلى كتاب "**سلوك المالك في تدبير الممالك**" لشهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع [ت٦٤١هـ] كأول كتاب في فلسفة الأخلاق نقل تعريف جالينوس للخُلْق، استنادًا لعبارة وردت في الفصل الأول: "**ألَّفه للخليفة المعتصم بالله العباسي**". ونقول متابعةً **لجرجي زيدان** [ت١٩١٤م] و **كارل بروكلمان** [ت١٩٥٦م] في أحد آرائه، أنَّ الكتاب **أُلِّف في زمن آخر الخلفاء العباسيين** (الرابع والثلاثون) **المستعصم بالله** [ت٦٥٦هـ]، وأنَّ هذا تصحيف **من الناسخ** من (المستعصم) إلى (المعتصم). ويُشير زيدان إلى صعوبة وصول **نضج التأليف** في الربع الأول من القرن الثالث الهجري لهذا المستوى، وتابعه على ذلك ناجي التكريتي. ونورد نقدًا جديدًا يتلخص في أنَّ المعتصم بالله حكم في الفترة [٢١٨-٢٢٧هـ]، وهذه الفترة **يغلب على الظن أنَّ حُنين بن إسحاق لم يُتم بعد ترجمة كتاب "في الأخلاق" لجالينوس**؛ لأنه ألَّفه في الفترة [٢٣٣-٢٤٣هـ] تقريبًا. أي بعد وفاة المعتصم بسنين. إذ كان حنين في مطلع شبابه منشغلًا بترجمة عشرات المصنفات الطبية (**نحو خمسين كتابًا**) لجبرائيل بن بختيشوع [ت٢١٢هـ] وابنه بختيشوع [ت٢٥٦هـ]. وفضلًا عن هذا كله، فكتاب "**الأخلاق إلى نيقوماخوس**" لأرسطو لم يترجم إلا نهاية القرن الثالث الهجري على يد إسحاق بن حنين [ت٢٩٨هـ] وهو من مصادر ابن أبي الربيع. **ما ننتهي به إلى استحالة تأليف كتابه "سلوك المالك" في زمن المعتصم**، بل في زمن المستعصم منتصف القرن السابع الهجري.

ثابت بن سنان [ت٣٦٥هـ] في كتابه "**تهذيب الأخلاق**"(١) فقال: "نقول إنَّ جالينوس وصف الأخلاق أنَّ الخُلْق حال للنفس داعيةٌ الإنسان إلى أن يفعل أفعال النفس بلا رويَّة ولا اختيار" (٢). وقال **يحيى بن عَدي** [ت٣٦٤هـ] في كتابه "**تهذيب الأخلاق**": "إنَّ الخُلْق هو حال للنفس بها يفعل الإنسان أفعاله بلا رويَّة ولا اختيار" (٣). أمَّا **إخوان الصفا** [ت+٣٧٠هـ] في **رسائلهم** فيفرقون بين ما كان مركوزًا في النفس غير الناطقة، وبين ما يصدر عن النفس الناطقة (العاقلة)، **ففي الأولى يُعرِّفون الأخلاق بنَفَس جالينوسي**، فيقولون: "إنَّ الأخلاق المركوزة في الجِبِلَّة هي **تهيُّؤ ما في كل عضو من أعضاء الجسد يسهل به على النفس إظهارُ** فعل من الأفعال أو عمل من الأعمال أو صناعة من الصنائع أو تعلُّم علم من العلوم أو أدب من الآداب أو سياسة من غير فكر ولا رويَّة" (٤). والأخلاق المكتسبة عندهم ما كانت على الضد ممَّا كان مطبوعًا فهي تحتاج إلى "فكر ورويَّة واجتهاد شديد وكلفة، ولا يفعل الإنسان هذه الأمور إلا بعد أمر ونهي ووعد ووعيد ومدح ودم وترغيب وترهيب" (٥). وقال **مسكويه** [ت٤٢١هـ] في كتابه "**تهذيب الأخلاق**": "الخُلْق حالٌ للنفس داعيةٌ لها إلى أفعالها من **غير فكرٍ ولا رويَّة**" (٦). ونلحظ استبدال

للاستزادة، انظر: شهاب الدين أحمد ابن أبي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، ص١٢. و ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، ص٧-٨.

(١) قدَّمنا كتاب ثابت بن سنان آل قرَّة على غيره لأننا نجزم على وجه الحقيقة أنَّه أتمَّ تأليفه قبل عام ٣٣١هـ؛ لأنه أشار لحياة والده سنان بن ثابت بن قرَّة المتوفَّى في ذلك العام. بينما كتاب يحيى بن عَدي نشكك في نسبته إليه أصلًا لدلائل كثيرة، منها: أرسطيته وتتلمذه على الفارابي الأرسطي النزعة، واشتهار حلقته الفلسفية في بغداد بالتراث الأرسطي، وعدم اشتغاله بتعلم الطب، **فكيف نفسر ميوله الجالينوسية في هذا الكتاب؟** لذلك يُرجِّح المرحوم محمد عابد الجابري أنَّ الكتاب من وضع الحسن بن الهيثم [ت٤٣٢هـ]. أما نحن فنقطع بعدم نسبته إلى يحيى بن عدي، ونشكك في نسبته إلى الحسن بن هيثم؛ لكونه أرسطيًا رغم "**تلخيصه كتبًا كثيرة لجالينوس في الطب**". **ونحسب أنه لمؤلف آخر؛ ما زلنا نستكمل دراستنا عنه وعن مخطوطات الكتاب منذ القرن السابع الهجري**، لنوفق بينها وبين الإحالات الداخلية للنص، وبين ثبت مصنفات فلسفة الأخلاق في القرنين الرابع والخامس الهجري.

للاستزادة، انظر: محمد عابد الجابري، العقل الأخلاقي العربي، ص٣١٥-٣٣٨.

(٢) ثابت بن سنان آل قُرَّة المتطبب، مخطوط تهذيب الأخلاق، ق ٩ب. **وقد انتهينا من تحقيقه ودراسته، وسيُنشر قريبًا** -بإذن الله-.

(٣) ممَّا يؤكد شكوكنا في نسبة كتاب "**تهذيب الأخلاق**" ليحيى بن عدي، ورود هذا التعريف الجالينوسي للأخلاق، دون وجود أدنى أثر أرسطي فيه. بالرغم من إشارة المصادر احتفاظ ابن عَدي بشرح ثامسطيوس على "**الأخلاق النيقوماخية**".

للاستزادة، انظر: مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية (الإبرازة الثانية)، ج٢، ص٤٤٨. و يحيى بن عدي، تهذيب الأخلاق، تح: جاد حاتم، ص٤٧.

(٤) ويضرب إخوان الصفا أمثلة لذلك، فيقولون: "متى ما كان الإنسان مطبوعًا على الشجاعة فإنه يسهل عليه الإقدام على الأمور المخوِّفة من غير فكر ولا رويَّة، وهكذا متى كان مطبوعًا على السخاء يسهل عليه بذل العطية من غير فكر ولا رويَّة، ومتى كان الإنسان مطبوعًا على العفَّة سهل عليه اجتناب المحظورات المحرَّمات من غير فكر ولا رويَّة.. وعلى هذا المثال والقياس سائر الأخلاق والسجايا المطبوعة في الجبلة المركوزة فيها، إنما جعلت؛ لكي يسهل على النفس إظهار أفعالها وعلومها وصنائعها وسياساتها وتدبيرها بلا فكر ولا رويَّة".

انظر: إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفاء وخِلَّان الوفاء، ج١، ص٢٥١-٢٥٢.

(٥) انظر: إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفاء وخِلَّان الوفاء، ج١، ص٢٥٢.

(٦) مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص٢٦٥.

مسكويه عبارة (فكر) عوضًا عن (اختيار) في دلالة تأكيدية **أن الخُلْق يصدر من النفس غير الناطقة** كما يقرر جالينوس.

وقال ابن سينا [٤٢٧هـ]: "إنَّ الخُلْق مَلَكةٌ تصدر بها عن النفس أفعالٌ ما بسهولة من غير تقدم رويَّة" [١]. ونلحظ استخدام ابن سينا مفردة (مَلَكة) عوضًا عن (حال)، واستغناءه عن مفردة (الاختيار)[٢]. وقال **أبو سعيد عبيدالله بن بختيشوع** [ت +٤٥٠هـ] في كتابه "**الروضة الطبية**": "في ما الخُلْق. الخُلْق هو حالة للنفس داعية الإنسان إلى أن يفعل أفعال النفس **بلا رويَّة ولا اختيار**" [٣]. ويقول **أبو حامد الغزَّالي** [ت٥٠٥هـ] في كتابه "**إحياء علوم الدين**": "والخُلْق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويُسر من غير حاجة إلى **فِكر** ورويَّة" [٤]. **ونلحظ متابعته لمسكويه في عبارة الفِكر** [٥] [٦]، ولابن باجَّة [ت٥٣٣هـ] كلام يحول حوله[٧]. ويتابع

---

(١) عبَّر ابن سينا عن فحوى هذا التعريف الجالينوسي بنفس أرسطي وإشراقي في "**رسالة في الكلام على النفس الناطقة**".

انظر: ابن سينا، "رسالة في الكلام على النفس الناطقة"، ضمن كتاب أحوال النفس: رسالة في النفس وبقائها ومعادها لابن سينا، تح: أحمد فؤاد الأهواني، ص١٩٦.

(٢) نحن بحاجة لدراسة مفصَّلة لتطور المنحنى الفكري لفلسفة الأخلاق عند ابن سينا، بدراسة ما تبقى من رسائله الأخلاقية. فهو هنا يعرف الأخلاق بتعريف جالينوس، ولا نجده يذكره في باقي مصنفاته. كرسالته في "**أحوال النفس**" الملقَّبة بـ"**كتاب النفس الكبير**" ورسالته في "**مبحث عن القوى النفسانية**" التي ألَّفها وهو ابن السابعة عشرة. وما ذكره ابن سينا لا يتعارض عمومًا مع رؤيته الأرسطية لصدور الأخلاق من "القوة الناطقة" لغاية الخير، فهو يشير إلى صدور بعض الأخلاق من "القوى الحيوانية" التي تستعلي عليها "القوة الناطقة"، فيقول: "وملكة التوسط كأنها موجودة للقوة الناطقة وللقوة الحيوانية معًا. أمَّا القوى الحيوانية فبأن يحصل فيها هيئة الإذعان، وأمَّا القوة الناطقة فبأن يحصل فيها هيئة الاستعلاء".

للاستزادة، انظر: ابن سينا، أحوال النفس: رسالة في النفس وبقائها ومعادها، تح: أحمد فؤاد الأهواني، ص١٣٥-١٣٦.

(٣) عبيدالله بن جبرائيل بن بختيشوع، الروضة الطبية، تح: القس بولس سباط، ص٤٢.

(٤) يعرِّف الغزَّالي في كتابه "**المنقذ من الضلال**" الأخلاقَ تعريفًا وصفيًا ووظيفيًا، فيقول: "حصر صفات النفس وأخلاقها، وذكر أجناسها وأنواعها، وكيفية معالجتها ومجاهدتها". وكان الغزَّالي يُجِلّ جالينوس ويستثنيه من فلاسفة اليونان المتهافتين؛ لأنه توقف في مسألة قِدم العالم، فقال لا أدري؛ أهو قديم أم حديث؟ في كتاب جالينوس "**ما أعتقده رأيًا**".

انظر: أبو حامد الغزَّالي، إحياء علوم الدين، ج٥، ص١٩٠-١٩١. و أبو حامد الغزَّالي، المنقذ من الضلال، تح: عبدالحليم محمود، ص١٥٨. و أبو حامد الغزَّالي، تهافت الفلاسفة، تح: سليمان دنيا، ص٧٤-٧٥.

(٥) يعرِّف التوحيدي [ت٤١٤هـ] **الفِكر** بـ: "سلوك النفس الناطقة إلى تلخيص المعاني ومعرفة ماهيَّاتها" **والاختيار** بـ"إرادة تقدمتها روية مع تمييز".

انظر: أبو حيَّان التوحيدي، المقابسات، المقابسة رقم (٩١)، ص٢٨٩-٢٩٢.

(٦) التقط ريتشارد ڤالترز [ت١٩٧٥م] الأثر الهائل الذي أحدثه كتاب مسكويه "**تهذيب الأخلاق**"، وتأثيره على الغزَّالي والفكر الأخلاقي الإسلامي عمومًا، فقال: "**إنَّ الأخلاق الفلسفية على الصورة التي أبرزها مسكويه، وجدت قبولًا تامًا عند متكلم مسموع الكلمة كالغزَّالي، وبذلك اندمجت في التراث الديني**". ويرى أنَّه لولا التأكيد أنَّ هذه الأخلاق لا تخالف الإسلام لما أمكن دمجها في التراث الإسلامي.

قلتُ: وهذا يُفسِّر استشهاد مسكويه بالتراث الإسلامي للمعاني الفلسفية، بخلاف صنيع ثابت بن سنان ويحيى بن عدي في تهذيبهما.

انظر: مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية (الإبرازة الثانية)، ج٢، ص٤٤٤-٤٤٥، ٤٥٠. مع التنبيه أنَّ نسخ مخطوطات "تهذيب الأخلاق" لمسكويه تبلغ نحو (٨٠) مخطوطًا، تحتاج لمشجَّرة لإفراد هذه الفروقات وأثرها للوصول لأصح النسخ أو الإبرازات عن المؤلف؛ لكوننا وقفنا على فروق في التأويل الديني بين نشرة قسطنطين زريق وعماد الهلالي، ما يدعو لإفراده في دراسة مستقلة.

(٧) يقول ابن باجَّة في إحدى رسائله عن "**الوحدة والواحد**": "إنَّ المعقولات الأولى التي تفيدنا إيَّاها الطبيعة من غير سعي لنا في ذلك نعتمده ولا تفكير،

ابن كمُّونة [ت٦٨٣هـ] في كتابه "**الجديد في الحكمة**" ابن سينا في تعريفه، فيقول: "الخُلْق مَلكة يصدر بها عن النفس أفعال بسهولة من غير تقدم رويَّة" (١).

ونستخلص من تعريف جالينوس للأخلاق مقارنة بالتعريف العربي ما يلي:

أولًا: يتفق جالينوس مع التعريف العربي على **استبعاد ما كان من التطبُّع والتَّعود من تعريف الخُلْق**، رغم كونهما سيعودان لاعتبارهما خُلْقًا على سبيل "**المجاز**" في بعض أشعار العرب، و"**الطبيعة المكتسبة**" عند جالينوس، فنطالعه في مقالته الرابعة من كتابه "**في الأخلاق**" يعالج علاقة **الطَّبع بالعادة في الأصل اللغوي اليوناني**، فيقول: "**العادة طبيعَة مكتسبة، كأنَّها طبيعة ثانية**. ولذلك قال بعض الفلاسفة: إنَّ **اسم الخَالِق** في اللغة اليونانية إنما **اشتُق من اسم العادة**، لأن العادة إمَّا أن تكون هي بانفرادها تفعل الخُلْق، وإمَّا أن تكون من أقوى الأسباب في ذلك. ولستُ أنكر أنَّ للطَّبيعَة عملًا في ذلك" (٢).

ولجالينوس كتاب موسَّع "**في العادات**" غرضه فيه أن يبين أنَّ العادة أحد الأعراض التي ينبغي أن يُنظر فيها(٣).

فهي المبادئ الأول في الفكرة والرويَّة، وبها يسمى الجسم الموجودة فيه هذه إنسانًا مطلقًا بتواطؤ".

انظر: ابن باجَّة الأندلسي، رسائل فلسفية، تح: د.عبدالرحمن بدوي، ص١٤٤.

(١) انظر: ابن كمّونة، الجديد في الحكمة، تح: حميد مرعيد الكبيسي، ص٣٠٨.

(٢) جالينوس، كتاب مختصر الأخلاق، تح: پول كراوس، ص٤٩-٥٠.

(٣) انظر: مجموع مخطوط لأربع عشرة رسالة في الطب، بمكتبة آيا صوفيا (رقم ٣٧٢٥)، من نقل حبيش بن الحسن (الأعسم). من ضمنها "**كتاب جالينوس في العادات**"، و أ١٩٤-ب٢١٨. ونعمل على استخراج ما يتصل **بالعادات الأخلاقية** منها. وقد وهِم لويس شيخو [ت١٩٢٧م] في ظنه أن هذه الرسالة هي ذاتها مختصر كتاب "**في الأخلاق**" لجالينوس، بينما هما عملان مختلفان.

ومن توفيقه نقل **الأطباء الجالينوسيين** هذا الرأي كما نجده لدى أبي بكر الرازي [ت٣١٣هـ][(١)]، وبعض الفلاسفة كالفارابي [ت٣٣٩هـ] وعيسى بن زرعة [ت٣٩٨هـ] [(٢)] رغم أرسطيتهما [(٣)]، وبعض الشرعيين كالراغب الأصفهاني [ت٥٠٢هـ] [(٤)]، وأبي حامد الغزَّالي [ت٥٠٥هـ].

---

(١) كان أبو بكر الرازي أول طبيب متفلسف يتابع جالينوس في هذا الرأي، فصنَّف مقالة مفقودة "**في العادة وأنها تكون طبيعية**". وتابعه الطبيب أبو جعفر ابن الجزار [ت٣٦٩هـ] مع شيء من التَّحفظ والتفصيل في كتابه "**سياسة الصبيان وتدبيرهم**"، فقال [بتصرف]: "إنَّ الخصال لا تفارقه لأنَّه طُبع عليها من هاتين الجهتين، **أعني العادة والطبيعة**، مع أنَّ بعض الحكماء قالوا: "**العادة طبيعة ثانية**"، فلموقع العادة هذا الموقعَ وجبَ أنْ يؤدَّب الأطفال ويعوَّدوا بالأشياء الجميلة".

للاستزادة، انظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٢٣. و أبو جعفر أحمد ابن الجزَّار، سياسة الصبيان وتدبيرهم، تح: محمد الحبيب الهيلة، ص١٣٨-١٣٩.

(٢) **سُئل عيسى بن زرعة ما العادة؟** فقال: "حالٌ يأخذ بها المرء نفسه من غير أن تكون مسنونة يجري عليها مجرى ما هو مألوف طبيعي".

انظر: أبو حيَّان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تح: هيثم الطعيمي، الليلة السابعة والثلاثون، ج٣، ص٣٦٤.

(٣) لابد من حمل رأي الفارابي في جملة الآراء التي صاغها **دفاعًا عن وحدة الفلسفة**، لمَّا رأى "تنازع أهل زمانه في ادِّعائهم اختلاف رأي الحكيمين المقدَّمين المبرَّزين في أمر النفس والعقل **وفي كثير من الأمور المدنية والخلقية**". ولذلك قال **باتفاق رأيي أرسطو وأفلاطون في أمر العادة، رغم اختلافهما في الحقيقة،** فقال: "وكذلك مهما كانت النفس المتخلقة ببعض الأخلاق، ثم تكلفت اكتساب خُلق جديد، كانت الأخلاق التي معها كالأشياء الطبيعية لها، وهذه المكتسبة الجديدة اعتيادية، ثم إن مرَّت على هذه ودامتْ على اكتساب خُلق ثالث، **صارت تلك بمنزلة الطبيعية وذلك بالإضافة إلى هذه الجديدة المكتسبة**". والفارابي متابع في طريقة تأليفه لكتاب "**في الفضائل والرذائل**" المنحول على أرسطو منذ أيام اليونان، وهو لأحد فلاسفة اليونان في القرن الأول (قبل/بعد الميلاد)، والذي حاول فيه التوفيق بين الأخلاق الأرسطية والأخلاق الأفلاطونية. وللفارابي أيضًا كتاب توفيقي مفقود في "**التوسط بين أرسطوطاليس وجالينوس**"، ذكره ابن أبي أصيبعة.

للاستزادة، انظر: أبو نصر الفارابي، الجمع بين رأيي الحكيمين، ص١٦٣. و أرسطوطاليس، الأخلاق، تر: اسحق بن حنين، تح: د.عبدالرحمن بدوي، ص٩.

(٤) **من صور تلقي الأخلاق اليونانية "أسلمتها"** كقول الراغب الأصفهاني: "فالسجيَّة فعل الخالق والعادة فعل المخلوق، ولا يبطل فعل المخلوق فعل الخالق، ولكن ربَّما يقوِّي العادة قوة محكمة حتى تعد سجيَّة، وبهذا قيل: العادة طبيعة ثانية".

انظر: الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٩٧.

ويشكك د.بدوي في أصل هذا التوفيق في لسان اليونان [١] [٢].

ويخالفهم بعض الفلاسفة الذين لا يرون إلحاق العادة بالطبيعة -كرأي العرب الأوائل- ومن ذلك قول الكِندي [ت٢٥٢هـ] "ليس في الطبع أن يكون ما ليس في الطبع" [٣]، وقول أبي سليمان المنطقي [ت+٣٩١هـ]: "**الطبيعي أشدُّ رسوخًا وأثبتُ عِرقًا، وأبعدُ من الانتِفاض؛ فأمَّا العادةُ فكلُّ ذلك جائز عليها، وغير مأمون من الوقوع فيه**" [٤]. وقول أبي حيَّان التوحيدي [ت٤١٤هـ]: "وفي الجملة، الناسُ من أول الدهر إنما يتكلمون في الأخلاق،

---

(١) يشكك **د.عبدالرحمن بدوي** في هذه المقاربة الجالينوسية، قائلًا: "اسم الخالق باليونانية (θεός) واسم العادة باليونانية (ἦθος) وحروف الكلمتين متشابهة تمامًا. **لكن الاشتقاق مع ذلك غير صحيح من حيث الأصل اللغوي لكلتا الكلمتين**". في حين ينتصر أستاذه **پول كراوس** للمقاربة الجالينوسية بقوله: "هناك تقارب معنوي أو فلسفي أيضًا". ويرى أستاذنا **محمد شوقي الزين** أنَّ "د.بدوي قد يكون خلط بين "الخالق" و"الإله". الإله في اليونانية هو (θεός) theos؛ بينما "الخالق" (إذا أردنا أن نربطه بالخَلْق من جهة وبالخُلْق من جهة أخرى)، يُقال (δημιουργέω) demiurge، حرفيًا "الصَّانع"، ومنه الصَّنعة والفبركة. **يمكن استخلاص مسائل كثيرة** وهي: ١/ إمكانية أن يتسمَّى الإنسان "خالقًا" مثل الخالق، عكس الألوهية، لا يمكن أن يتسمى بها إلهًا. ٢/ إمكانية أن تكون الأخلاق مصطنعة أو متكلّفة، مثلما نقول: نفاق، تكلُّف.. إلخ؛ أي لا تكشف عن الطبيعة الحقيقية للإنسان. ٣/ إمكانية أن تكون الأخلاق عبارة عن "صنعة"، أي اكتساب وليس وهبًا، وهنا تنفصل عن الطبيعة وتندرج في الثقافة (وإن لم يكن هناك فاصل جذري بين الطبيعة والثقافة)، مثلما يكتسب الشخص بعض الخصال بالتربية أو المخالطة. ٤/ العلاقة بين ethos و theos، كما أوردها د.بدوي، هي فقط عبارة عن "قلب لغوي" كما يقول أهل البلاغة، مثل جذب وجبذ؛ والكلمة ethos أعطت إذن ethics أو الأخلاق".

للاستزادة، انظر: عبدالرحمن بدوي، "مختصر من كتاب الأخلاق لجالينوس" ضمن كتاب "دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب"، ص٢٠٨.
و پول كراوس، دراسات في تاريخ الترجمة في الإسلام، ص١٠. وإفادة د.محمد شوقي الزين للباحث بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/٢٥م.

(٢) يندر أن نجد كتبًا أو رسائل صُنِّفت في الطَّعن أو الشكوك على **تراث جالينوس الأخلاقي**، فأبو بكر الرازي الذي يُعد أكثر من راجع تراث جالينوس بالنقد، وخاصم أفذاذ عصره في فهمه وإحاطته بتراث جالينوس، لم يُصنِّف شكوكًا على فلسفة جالينوس الأخلاقية مع علو كعبه ونظره في فلسفة الأخلاق، بالرغم من تصنيفه كتاب "**الشكوك على كلام فاضل الأطباء جالينوس في الكتب التي نُسبت إليه**"، وهي شكوك في الصنعة الطبية، والتي رد عليها ابن رضوان [ت٤٥٣هـ] في كتابه "**في حل شكوك الرازي على كتب جالينوس**". أمَّا الردود على جالينوس في الطبيعيات والمنطقيات والإلهيات **انتصارًا لرأي أرسطو** فكثيرة جدًا في الحضارة العربية؛ للفارابي [ت٣٣٩هـ] والبيروني [ت٤٤٠هـ] وابن رشد [ت٥٩٥هـ] وموسى بن ميمون [ت٦٠٣هـ] وعبداللطيف البغدادي [ت٦٢٩هـ] وغيرهم. وقبلهم للإسكندر الأفروديسي [ت+٢٠٠م]، وكذا للإسكندر الدمشقي [ت+٢٠٠م]، وثيميستوس [ت+٣٨٨م].

للاستزادة، انظر: أبو بكر الرازي، الشكوك على جالينوس، ص١٠-٣٠. و أبو نصر الفارابي، الرد على جالينوس فيما ناقض فيه أرسطوطاليس لأعضاء الإنسان، ضمن كتاب "رسائل فلسفية"، تح: د.عبدالرحمن بدوي، ص١٤ من المقدمة، ص٣٨-١٠٧. و أبو نصر الفارابي، كتاب الخطابة، ص٧١-٧٣. و موسى بن ميمون القرطبي، الرد على جالينوس في الفلسفة والعلم الإلهي، تصحيح: يوسف شخت وماكس مايرهوف، ص٧٧-٨٨. و إيمان محمد عبدالقادر، ‹‹دراسة مقارنة لفكر جالينوس الأخلاقي في المصادر اليونانية والترجمات العربية››، ص١٣-١٩. و ابن رشد، تلخيص كتاب السياسة لأفلاطون، ص١٣٠.

(٣) مع التنبيه أن الكِندي يرى اكتساب الخُلق بالتخلق (التعود) لكن لا يثبت كثبات الطبع. يقول في ذلك: "فينبغي إذن أن نستعمل حمل أنفسنا على ذلك؛ تربية لها حتى يصير ذلك لنا عادة لازمة وخُلقًا مستفادًا، **أعني نتخلق خُلقًا إذا لم يكن ذلك لنا بالطبع بالفعل**، أعني من بدء عادتنا، ليطيب لنا العيشُ أيام مدَّتنا".

انظر: الكِندي، رسالة "في الحيلة لدفع الأحزان" ضمن كتاب رسائل فلسفية، تح: د.عبدالرحمن بدوي، ص٧، ١٠، ١٢.

(٤) للاستزادة، انظر: أبو حيَّان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تح: هيثم الطعيمي، الليلة السابعة والثلاثون، ج٣، ص٣٦٤.

على هذا تدل الكتب السالفة، والأسفار المتقدمة، والمواعظ القائمة، والمزاجر المترددة. **ومع ذلك كله من طُبِع الجبن ليس يجيء منه شجاع**". وقول الطبيب عبداللطيف البغدادي [ت٦٢٩هـ]: "**فإذا كان غبيًّا بالفطرةِ رديءَ الطِّباع بالجبلَّة، فلا تَرجُ منه خيرًا، ولا تتوقَّع منه فضيلة، وآيسْ من فلاحه، ولا تطمعْ في صلاحه، ولا تتربَّص به أن تُصلِحه الرياضةُ بالعلوم، بل توقَّع أن تَزيده شرًا وفسادًا**" [١].

ثانيًا: صدور الأخلاق من النفس، كفعل تلقائي طبيعي عند جالينوس.

يصدر الفعل الأخلاقي عند جالينوس من النفس، وتحديدًا من "النفس الحيوانية" وتسمى غير الناطقة وكذا الفانية. فالنفس عند جالينوس تنقسم إلى ثلاثة أنفس [٢] –متابعةً لأفلاطون في "**محاورة السياسة**" [٣]– وهي: "**النفس الناطقة**"، وهي أعلى الأنفس قدرًا، وتُسمى عند أرسطو بـ "العاقلة" المميزة، وهي النفس الخالدة غير الفانية، الخاصة بالإنسان فقط لأنها معنية بالتفكير، **ومنها يصدر الفعل الإرادي الأخلاقي عند أرسطو وغيره** [٤]. والنفس الثانية "**النفس الحيوانية**" وهي المعنية بحركة الإنسان الذاتية وتسمى بـ "الغضبية" عند أرسطو، **وهي التي يصدر منها**

---

(١) بالرغم من كون البغدادي جالينوسيًا –وهو من يرى صلاح الأخلاق بالتَّعود– بل مبالغًا في المنافحة عنه؛ إلا أنَّه لم يتابع جالينوس في رأيه هذا. مع كونه كتب ثلاث كراريس في الرد على كتاب أبي بكر الرازي "**الشكوك على جالينوس**".

انظر: أبو حيَّان التوحيدي، المقابسات، المقابسة رقم (٣)، ص٨١. و عبداللطيف البغدادي، كتاب النصيحتين للأطباء والحكماء، ص٩٨.

(٢) يُعبِّر أفلاطون وجالينوس عن أنواع النفس بـ"النفوس"، أمَّا أرسطو فيعبِّر عنها بـ"قوى النفس"؛ لأنه يرى للإنسان نفسًا واحدة لها عدة وظائف. وهذا التفريق مفتاح لفهم ميول الكاتب الأفلاطونية أو الأرسطية. فنحن مثلًا نحكم على أرسطية ابن سينا لاعتماده غالبًا على استخدام "قوى نفسانية" يقول ابن سينا: "نسميها نفوسًا أو قوى نفسانية" في رسالته عن "**مبحث القوى النفسانية**" المؤلفة عام ٣٨٧هـ. ومن القرائن التي ترجح عدم نسبة كتاب "**تهذيب الأخلاق**" ليحيى بن عَدي [ت٣٦٤هـ] قوله: "وللنفس ثلاث قوى، وهي تسمى أيضًا نفوسًا، وهي: النفس الشهوانية، والنفس الغضبية، والنفس الناطقة" فاستخدامه لمصطلح "النفس" يوحي بجالينوسيته وهو شيخ المدرسة الأرسطية ببغداد. لكن يشكل عليه أنه قال بعدها: "وجميع الأخلاق تصدر عن هذه القوى. فمنها ما يختص بإحداهن، ومنها ما تشترك فيها قوتان..". فعاد لاستخدام مصطلح "قوى" وإن كان المعتمد لديه في أغلب الكتاب "النفس".

للاستزادة، انظر: ابن سينا، "مبحث عن القوى النفسانية"، ضمن كتاب أحوال النفس، تح: أحمد فؤاد الأهواني، ص١٥٠. و يحيى بن عَدي، تهذيب الأخلاق، تح: د.فيصل بدير عون، ص٢٢٠.

(٣) **للوقوف على أفلاطونية جالينوس**، انظر: إيمان محمد حامد عبدالقادر، ‹‹دراسة مقارنة لفكر جالينوس الأخلاقي في المصادر اليونانية والترجمات العربية››، ص١٨٧-١٩٦.

(٤) **ينسب جالينوس هذا الرأي لـ"قوم متأخرون"** دون أن يسميهم، ويبدو من السياق أنهم أرسطيون. ولا ينسب جالينوس هذا الرأي لأرسطو إلا جزئيًا، فيقول: "وأرسطو وغيره يرون أنه **قد يشوب النفس الناطقة شيء من الأخلاق**، ولكن جلها في التي ليست بناطقة". **وهذا غير دقيق**، فأرسطو كما يقول عبداللطيف البغدادي يرى: "أنَّ الطبيعة والعقل الإنساني ليس فيهما كفاية دون الأفعال الكائنة عن المشيئة والاختيار التابعين للعقل العملي [الأخلاقي]؛ فلذلك نحتاج أن نفحص عن الأفعال الكائنة بالإرادة والمشيئة والاختيار التابعة للعقل العملي، فإنَّ هذه هي الإرادة الإنسانية؛ وذلك أنَّ النزاعَ التابعَ للحس والتمييز الذي لسائر الحيوان الآخر، ليست هي إنسانية ولا هي أشياء نافعة في أن تبلغ الكمال الإنساني".

انظر: عبداللطيف البغدادي، كتاب النصيحتين للأطباء والحكماء، ص١٤٤. و جالينوس، "مختصر من كتاب الأخلاق" ضمن كتاب رسالتان في فلسفة الأخلاق، ص٢٦.

الفعل الأخلاقي عند جالينوس(١). والنفس الثالثة "**النفس النباتية**" وهي المسؤولة عن غذاء الإنسان، وتسمى "النفس الشهوانية". وهما: أي الحيوانية والنباتية فانيتان.

ممَّا سبق يتبين أنَّ صدور الفعل الأخلاقي عند جالينوس يصدر **كطبيعة مادية من الإنسان دون تفكير**، ومصدره النفس الحيوانية المشتركة بين الإنسان والحيوان. ويستدل جالينوس على ذلك بدليله الشهير عن **الأخلاق عند الصبيان والبهائم** وكيف يصدر منهم دون اختيار (٢)(٣). وتقريرًا لذلك يرى ابن سينا أنَّ النفس الناطقة "جوهر قائم بذاته، غير منطبع في بدن الإنسان" (٤) بعكس النفس الحيوانية المنطبعة في الإنسان.

ثالثًا: صدور الأخلاق من النفس غير الناطقة (الحيوانية) فارق رئيس بين تعريف جالينوس وتعريف أرسطو الذي يرى صدورها من النفس الناطقة (العاقلة).

وأثره العملي في منشأ صدور الإرادة الأخلاقية، وتجاوز الحالة الميكانيكية للفعل الأخلاقي إلى الحالة التأملية والفكرية للتَمييز بين الخير والشر في اختيار الأفعال الأخلاقية (٥). ونلحظ انقسام آراء المشتغلين بفلسفة الأخلاق

---

(١) ينسب جالينوس هذا الرأي لـ"لفلاسفة القدماء" في كتابه "**في الأخلاق**".

انظر: جالينوس، "مختصر من كتاب الأخلاق" ضمن كتاب رسالتان في فلسفة الأخلاق، ص٢٦.

(٢) يقول جالينوس: "ومما يدل أيضًا على أنَّ بعض الصبيان يميلون بلا فكر ولا عزيمة رأي إلى الفضيلة، وبعضهم إلى الرذيلة، أنَّا قد نرى أنه قد ينال أحدهم الأذى ممن يلاعبه فنرى بعضهم يرحمه ويعينه، وبعضهم يضحك عليه ويفرح به، وربما ساعد وشارك في أذيته..". قلتُ: ونجد نحوه عند ثابت بن سنان آل قرة في كتابه "**تهذيب الأخلاق**".

للاستزادة، انظر: جالينوس، "مختصر من كتاب الأخلاق" ضمن كتاب رسالتان في فلسفة الأخلاق، ص٢٩.

(٣) **ينازع أبو بكر الرازي [ت٣١١هـ] جالينوس في صدور الأفعال من الحيوانات بلا فكر**، فيقول: "وكيف يجوز أن يقول قائل إنَّه لا فكر للبهيمة أصلًا، مع ما ترى من أفاعيلها العجيبة. أفترى الفأرة في إدخالها ذنبها في القارورة الضيِّقة الفم، وغمسه في الدهن ولحسه إلى أن تنال منه حاجتها لم يتصور أن رأسها يكبر عن فم القارورة، وأنها لم تفعل ذلك إلا بعد التصوَّر والرويَّة". وأورد إخوان الصفا [ت+٣٧٠هـ] على هذا المثال الجالينوسي إشكالًا في "أنَّ كثيرًا من الصبيان إذا نشأوا مع الشجعان والفرسان وأصحاب السلاح وتربوا معهم تطبَّعوا بأخلاقهم وصاروا مثلهم..". فإخوان الصفا يقولون بالأخلاق المركوزة لكن يخالفون جالينوس في استدلاله بأخلاق الصبيان؛ لأنهم يرون إمكانية التطبع بغيرها رغم حداثة عمرهم وضعف قوة النفس الناطقة لديهم.

للاستزادة، انظر: إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفاء وخِلَّان الوفاء، ج١، ص٢٥٢-٢٥٣.

انظر: أبو بكر الرازي، الشكوك على جالينوس، ص٢٧.

(٤) ابن سينا، "رسالة في الكلام على النفس الناطقة"، ضمن كتاب أحوال النفس: رسالة في النفس وبقائها ومعادها، تح: أحمد فؤاد الأهواني، ص١٩٦.

(٥) من المعاني اللطيفة المخالفة للموروث التقليدي اليوناني والإسلامي في مفهوم الخير، ما سطَّره إخوان الصفا في نص مختصر في غاية الإيجاز والتماسك بقولهم: "متى ظهرتْ من الطبيعة هذه الشهوات المركوزة في الجبلة، وكانت على ما ينبغي، في الوقت الذي ينبغي، من أجل ما ينبغي؛ سمِّيت خيرًا؛ ومتى كانت بخلافه سمِّيت شرًا؛ ومتى فعل ذلك باختياره وإرادته على ما ينبغي، بمقدار ما ينبغي، من أجل ما ينبغي؛ كان صاحبه محمودًا؛ ومتى كان بخلافه كان مذمومًا، ومتى كان اختيارهُ وإرادتهُ بفكر ورويَّة على ما وصفنا، كان صاحبه حكيمًا فيلسوفًا فاضلًا؛ ومتى كان بخلافه سمِّي سفيهًا جاهلًا رذِلاً..".

للاستزادة، انظر: إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفاء وخِلَّان الوفاء، ج١، ص٢٦١-٢٦٢.

إزاء هذه المسألة إلى ثلاثة آراء، **الأول**: يرى جمهور الأطباء وبعض الفلاسفة المتطببين **رأي جالينوس. الثاني**: يرى جمهور فلاسفة اليونان المتأخرين **رأي أرسطو وأبي بكر الرازي. الثالث**: المحققون الذين يميزون بين اختصاصات كل نفس، ومنهم أحمد بن الطَّيب السرخسي [ت٢٨٦هـ] الذي يقول: "**الأفعال التمييزيّة واقعة بإرادة المختار، والأفعال الطبيعية سواء في ذي التمييز والبهيمة**. والعادة أرذل من الطبيعة. فالعادة إذًا من الأفعال البهيمية، فقبيحٌ بمن له الفضل النطقي أن تكون عادته أغلب عليه من التمييز" [١]، وأبو سليمان المنطقي [ت+٣٩١هـ] القائل: "والنفس قابلة للفضائل والرذائل، والخيرات والشرور. **وللنفس الحيوانية أخلاق لا تستحيل ولا تتغير**. يقصد بذلك: الغرائز. **وللنفس الناطقة أخلاق تترقى بها وتكمُل**" [٢]، وإخوان الصفا [ت +٣٧٠هـ] في قولهم: "ومن ذلك أنك تجد أخلاقه وأفعاله بعضها **طبيعية مركوزة في الجبلة، وبعضها نفسانية اختيارية، وبعضها عقلية فكرية، وبعضها ناموسية سياسية**" [٣]، ويفرقون بين الأخلاق المكتسبة والأخلاق المركوزة [٤]. أمَّا أبو حيَّان التوحيدي [ت٤١٤هـ] بقوله: "**أخلاق الإنسان مقسومة على أنفسه الثلاث**، أعني النفس الناطقة، والنفس الغضبية، والنفس الشهوانية. وسمات هذه الأخلاق مختلفة بعَرْض واسع" [٥] [٦].

رابعًا: ستكون مفردة (النفس) مفتاح فهمنا ونقدنا للتثاقف الأخلاقي الفلسفي بين الثقافات (اليونانية، والفارسية، والعربية) في القرنين الثاني والثالث الهجريين.

نلحظ كثافة استخدام الفلاسفة والأطباء لمفردة النفس في مصنفاتهم، وستكون أبرز علامة للتفريق بين المصنفات التي وُضعت على طريقة الفلاسفة، والأخرى التي وُضعت **على طريقة الآداب الفارسية**، فليس عجبًا أنْ نجدَ مصنفات تحمل عنوان "**أخلاق النفس**" للكِندي [ت٢٥٦هـ]، وللسرخسي الطبيب [ت٢٨١هـ]، و "**طب**

---

(١) انظر: أبو سليمان المنطقي السجستاني، صِوان الحكمة وثلاث رسائل، تح: د.عبدالرحمن بدوي، ص٢٩٧.

(٢) انظر: أبو حيَّان التوحيدي، المقابسات، المقابسة رقم (٦١)، ص١٩٨.

(٣) يرتِّب إخوان الصفا الأخلاقَ بعضها على بعض استنادًا لتقسيمهم، فيرون أن "الطبيعة إذا أصَّلت خُلقًا، وركزته في الجِبلة جاءت النفس بالاختيار فأظهرته و بيّنته، ثم جاء العقلُ بالفكر والرويَّة فتمَّمَهُ وكمَّله، ثم جاء الناموس بالأمر والنهي فسوَّاهُ وقوَّمه وعدَّله".

للاستزادة، انظر: إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفاء وخِلَّان الوفاء، ج١، ص٢٦١.

(٤) أضاف إخوان الصفا أخلاقًا وقوىً منسوبة إلى غير الأنفس الثلاث اليونانية (النباتية/ الشهوانية، والحيوانية/ الغضبية، العاقلة/ الحكمية) وهي: النفس الإنسانية العاقلة، والنفس الناموسية الملكية. انظر: إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفاء وخِلَّان الوفاء، ج١، ص٢٥١، ٢٥٧، ٢٥٩.

(٥) انظر: أبو حيَّان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تح: أحمد أمين وأحمد الزين، الليلة التاسعة، ج١، ص١٤٧.

(٦) هناك قسم رابع لم نشأ تقعيده حتى نحشد له البراهين الكافية، وهم "الملفقون" ونعني الفلاسفة الذين قرَّبوا بين آراء أخلاقية متنافرة، لم يحسنوا نسبتها إلى أصحابها. ولعل هذا المنحى ابتدأ مع الفارابي في كتبه "**الجمع بين رأيي الحكيمين أفلاطون الإلهي وأرسطوطاليس**" و "**أغراض أفلاطون وأرسطو**" و "**كتاب التوسط بين أرسطوطاليس وجالينوس**".

للاستزادة حول هذا الموضوع، انظر: مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، ج٢، ص٥-٦.

النفوس" لأبي بكر الرازي [ت٣١٣هـ] و "**سياسة النفوس**" لسنان بن ثابت [ت٣٣١هـ] متابعةً لعنوان كتاب جالينوس "**أخلاق النفس**"، وكتاب أرسطو "**في النفس**". في مقابل وجود عشرات العناوين في المواعظ والحِكم تحمل عناوين "**الآداب**" في ذات الفترة تأثرًا بالموروث الفارسي [١]، والموروث الإسلامي [٢].

خامسًا: استخدام مفردة (النفس) في الفضاء الفلسفي العربي في القرن الثاني **كان يَردُ في مقابل البدن، دون الإشارة إلى أنها حالٌ للفعل الخُلقي**؛ لعدم توافر مترجمات تراث أفلاطون وجالينوس. وشاهدنا على هذا ما نجده في الرسائل العلمية والفلسفية لجابر بن حيَّان [ت نحو ٢٠٠هـ]، **فلا إشارة فيها لصلة النفس بالأخلاق**، مع إلحاحه على ذكر **طبائع الأفلاك والمياه والطعوم وغيرها**، دون ذكر لطبائع النفس التي بين جنبيه [٣]. علمًا بأن رسالة الكندي [ت٢٥٦هـ] "**في النفس**" [٤] أول نص فلسفي يؤلَّف عن النفس، وكذا رسالته "**في العقل**" [٥]. ومن حسن الحظ أنها وصلت إلينا.

سادسًا: أقام تعريف جالينوس للخُلق رابطة إنسانية تسمو بالمرجعية الثقافية على باقي المرجعيات الدينية والمذهبية والقومية. فتعريف الخُلق اليوناني انتقل للحضارة العربية الإسلامية عبر وسطاء ذوي ثقافة سريانية مسيحية الديانة، بطلب من وجهاء ذوي أصول تركية وثقافة فارسية وكذا وزير عربي. وتفاعل معه الفلاسفة، والأطباء، وأهل

---

(١) ومثالها كتاب "**الأدب الصغير**" و "**الأدب الكبير**" لابن المقفع [ت١٤٢هـ]، و"**أدب أشك بن أشك**" لسهل بن هارون [ت٢١٥هـ]، **وأدب مسعدة الكاتب** [ت٢١٧هـ]، و "**أدب جوانشير**" لعلي بن عبيدة [ت٢١٩هـ]، و "**آداب السلطان**" للمدائني [ت٢٢٥هـ]، و"**الآداب الصغيرة**" للمروزي [ت٢٧٤هـ]، و "**أدب السماع**" لابن قتيبة [ت٢٧٦هـ]، ولابن خرداذبة [ت٢٨٠هـ]، و "**آداب الملوك**" للسرخسي [ت٢٨٦هـ]، وغيرها.

للاستزادة، انظر: النديم، كتاب الفِهرست، ج٤ (الكشافات التحليلية)، ص٥٩-٦٠. و حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تح: أكمل الدين أوغلي و بشار عواد معروف، ص٢٣-٢٥.

(٢) ومثالها كتب "**أدب القاضي**" للحسن بن زياد اللؤلؤي [ت٢٠٤هـ]، وللشافعي [ت٢٠٤هـ]، ولابن سماعة التميمي [ت٢٣٣هـ]، وللخصَّاف [ت٢٦١هـ]، وغيرها.

للاستزادة، انظر: النديم، كتاب الفِهرست، ج٤ (الكشافات التحليلية)، ص٥٩-٦٠.

(٣) جابر بن حيَّان، مختار رسائل جابر بن حيَّان، جمع وعناية وتصحيح: پول كراوس، ص٢٦، ٢٨، ٣٨.

(٤) رسالة "**في النفس**" مشهورة النسبة للكِندي، لكن ممَّا يشكل وصول رسالة يكتنفها الغموض منسوبة إليه أيضًا بعنوان "**في القول في النفس؛ المختصر من كتاب أرسطو وفلاطن وسائر الفلاسفة**". يرى د.أبو ريدة (محقق تراث الكِندي) نسبتها إليه بحذر لوجود "روح الكِندي وأسلوبه"، لكن كيف اختصرها من كتاب أرسطو وغيره وهو لا يعرف اليونانية -كما يرى د.بدوي-؟ لا سيَّما أنَّ كتاب أرسطو "**في النفس**" لم يُنقل للعربية قبل نقل إسحاق بن حنين له في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري.

للاستزادة، انظر: الكِندي، رسائل الكِندي الفلسفية، رسالة "في النفس"، تح: محمد عبدالوهاب أبو ريدة، ج١، ص٢٨١-٢٨٢. ورسالة "في القول في النفس"، ج١، ٢٧٠-٢٨٠. و أرسطوطاليس، في النفس، ص١٦.

(٥) انظر: الكِندي، رسائل الكِندي الفلسفية، ج١، ص٣١٢-٣٦٢. و الكِندي، رسالة "في العقل" ضمن كتاب رسائل فلسفية، تح: د.عبدالرحمن بدوي، ص١-٥.

الديانة من كافة الملل والنحل؛ المسلمون (سنة وشيعة وإسماعيلية)، والمسيحيون (نساطرة وكاثوليك)، واليهود والصابئة، وحتى المتشككون في أمور الديانة. **وكأنه منطق أرسطو الذي خامر ثقافات كافة الحضارات الإنسانية.**

سابعًا: تأثير مزاج البدن على أخلاق النفس.

توصَّل جالينوس بعد تأليفه لكتاب "**في الأخلاق**" إلى **أنَّ قوى النفس توابع لمزاج البدن**، فمتى ما عُدِل البدن بالأطعمة والأشربة النافعة كان ذلك **مما يُعين النفس على نيل الفضيلة**، ودليله على هذا تغيُّر الخُلق بتغير الفصول، واختلاف أخلاق الصغار من أُمٍ واحدة [(١)].

ويُخالف جالينوس الإسلام أبو بكر الرازي [ت٣١١هـ] جالينوس اليونان في متابعة قوى النفس لمزاج البدن، **فهو يرى متابعة مزاج البدن لقوى النفس!** وتابعه ثابت بن سنان [ت٣٦٥هـ]، وأبو سليمان المنطقي [ت+٣٩١هـ]، وأبو سعيد بن بختيشوع [ت+٤٥٠هـ] في كتابه "**وجوب على الطبيب النظر في الأحداث النفسانية وفي كون العشق مرضًا**". ويستدل الرازي لرأيه باختلاف تأثير شرب الخمرة الواحدة على الجماعة باختلاف طبائعهم، أمَّا بختيشوع فيؤكد "**أنَّ النظر في أخلاق النفس يجب على الطبيب من قِبل أن بعضها يكون سببًا لبعض الأمراض كالغضب والغم والفزع وما جانبها**" [(٢)]. وقبل هؤلاء جميعًا، قال الكِندي [ت٢٥٢هـ]: "إنَّا بأنفسنا نحنُ ما نحن لا بأجسامنا .. فأجسامنا آلات لأنفسنا تظهر بها أفعالها" [(٣)]. وتابعه إخوان الصفا [ت+٣٧٠هـ] في رسالتهم التاسعة عن الأخلاق في فصل عن "تأثير طبيعة البلدان في الأخلاق" والأهم من ذلك ما عقده إخوان الصفا من تفصيل من متابعة الأخلاق للاعتقاد والعكس، وأفاضوا في تفصيله من جهة النجوم والواقع الاعتقادي[(٤)].

---

(١) للاستزادة، انظر: جالينوس، مقالة "في أنَّ قوى النفس توابع لمزاج البدن" ضمن كتاب دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب، تح: د.عبدالرحمن بدوي، ص١٨٣-١٨٦. و أحمد عبدالحليم عطية، جالينوس في الفكر القديم والمعاصر، ص٩٢، ١٠٣.

(٢) انظر: عبيدالله بن جبرائيل بن بختيشوع، رسالة في الطب والأحداث النفسانية، تح: فلكس كلاين فرانكه، ص٣٠. و أبوبكر الرازي، الشكوك على جالينوس، ص٦٧-٦٨.

(٣) الكِندي، رسالة "في الحيلة لدفع الأحزان" ضمن كتاب رسائل فلسفية، تح: د.عبدالرحمن بدوي، ص١١.

(٤) يقول إخوان الصفا: "واعلم يا أخي بأن من الناس من يكون اعتقادهُ تابعًا لأخلاقه، ومنهم من تكون أخلاقهُ تابعة لاعتقاده؛ وذلك أن من يكون مطبوعًا على طبيعة مريخيَّة .. أو مشترية .. وأمَّا الذي تكون أخلاقه تابعة لاعتقاده فهو الذي إذا اعتقد رأيًا أو مذهبًا وتصوَّرهُ وتحقق به صارت أخلاقه وسجاياه مشاكلةً لمذهبه واعتقاده؛ لأنه يصرف أكثر همه وعنايته إلى نصرة مذهبه وتحقيق اعتقاده في جميع متصرفاته، **فيصير ذلك خُلقًا له وسجية وعادة يصعب إقلاعه عنها وتركه لها**. وعلى هذا الجنس من الأخلاق تقع المجازاة من المدح والذم والثواب والعقاب والوعد والوعيد والترغيب والترهيب؛ لأنه اكتساب من صاحبه وفعل له". ثم أخذ إخوان الصفا في ذكر قصة اليهودي والمجوسي بما يطول ذكره.

للاستزادة، انظر: إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج١، ص٢٥٣-٢٥٥.

وخالف ابن سينا آراء هؤلاء الفلاسفة والأطباء، فأخذ برأي جالينوس، فقال: "وقد تبين في العلوم الطبيعية أن الأخلاق والعادات تابعة لمزاج البدن.." (١). ويرى أبقراط [ت٣٧٠ق.م] تغير أحوال النفس بتغير البقاع والأهوية كما جاء في كتابيه "**في تقدمة المعرفة**" و "**الأهوية والمياه والبلدان**" (٢).

(١) ابن سينا، "رسالة في الكلام على النفس الناطقة"، ضمن كتاب أحوال النفس: رسالة في النفس وبقائها ومعادها، تح: أحمد فؤاد الأهواني، ص١٩٧.

(٢) انظر: عبيدالله بن جبرائيل بن بختيشوع، رسالة في الطب والأحداث النفسانية، ص٣٢. و أبقراط، الأهوية والمياه والبلدان، تر: شبلي شميل.

المصادر والمراجع

١) **إحياء علوم الدين**، أبو حامد الغزَّالي، ١٠ج، ط١ (جدة: دار المنهاج، ٢٠١١).

٢) **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، ابن القفطي، تح: إبراهيم شمس الدين، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥).

٣) **الأخلاق**، أرسطوطاليس، تر: اسحق بن حنين، تح: د.عبدالرحمن بدوي، ط١ (الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٩).

٤) **أساس البلاغة**، أبو القاسم محمود الزمخشري، تح: عبدالرحيم محمود، د.ط (بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٢).

٥) **إشكالية المنهج في دراسة التراث**، محمود إسماعيل، ط١ (القاهرة: دار رؤية، ٢٠٠٤).

٦) **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، خير الدين الزركلي، ٧ج، ط٧ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٦).

٧) **أفلاطون في الإسلام: نصوص منشورة وغير منشورة**، عبدالرحمن بدوي، ط١ (طهران: مؤسسة مطالعات إسلامي، ١٩٧٣).

٨) **أفلاطون**، عبدالرحمن بدوي، د.ط (الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٩).

٩) **الأفلاطونية المحدثة عند العرب**، عبدالرحمن بدوي، ط٣ (الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٧).

١٠) **الإمتاع والمؤانسة**، أبو حيَّان التوحيدي، تح: هيثم الطعيمي، ٣ج، ط١ (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٤).

١١) **الأمد على الأبد**، أبو الحسن العامري، تح: أورتك. روسن، ط١ (بيروت: دار الكندي، ١٩٧٩).

١٢) **الأهوية والمياه والبلدان**، أبقراط، تر: شبلي شميل، ط١ (القاهرة: مطبعة المقتطف، ١٨٨٥).

١٣) **البستان: معجم لغوي مطول**، عبدالله البستاني، ط١ (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٢).

١٤) **التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية** (دراسات لكبار المستشرقين)، عبدالرحمن بدوي، ط٤ (الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٨٠).

١٥) **تعريف بعض مخطوطات مكتبتي**، جرجس بك صفا، مجلة المشرق (بيروت)، (العدد٣، مارس١٩١٣).

١٦) **تلخيص كتاب السياسة لأفلاطون**، ابن رشد، تر: حسن العبيدي، ط١ (بيروت: دار الطليعة، ١٩٩٨).

١٧) **تهافت الفلاسفة**، أبو حامد الغزَّالي، تح: سليمان دنيا، ط٤ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٦).

١٨) **تهذيب الأخلاق**، أبو علي مسكويه، تح: عماد الهلالي، ط١ (بيروت: منشورات الجمل، ٢٠١١).

١٩) **تهذيب الأخلاق**، ثابت بن سنان آل قُرَّة المتطبب، (مخطوط، ١٥١ ق، مكتبة الخزانة العامة في الرباط، رقم ٩٥٤ق).

٢٠) **تهذيب الأخلاق**، يحيى بن عدي، تح: جاد حاتم، د.ط (بيروت: دار المشرق، ١٩٨٥).

٢١) **جالينوس في الفكر القديم والمعاصر**، أحمد عبدالحليم عطية، ط١ (القاهرة: دار قباء للنشر، ١٩٩٩).

٢٢) **الجديد في الحكمة**، سعيد بن منصور بن كمّونة، تح: حميد مرعيد الكبيسي، ط١ (بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٢).

٢٣) **الجمع بين رأيي الحكيمين**، أبو نصر الفارابي، تح: ألبير نصري نادر، ط٢ (بيروت، دار المشرق، ١٩٨٦).

٢٤) **جمهرة اللغة**، ابن دريد، تح: رمزي منير البعلبكي، ٣ج، ط١ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧).

٢٥) **جهار مقالة (المقالات الأربع) في الكتابة والشعر والنجوم والطب**، النظامي العروضي السمرقندي، تر: عبدالوهاب عزام ويحيى الخشاب، ط١ (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٩).

٢٦) **حدود المنطق**، محمد ابن المقفع، تح: محمد تقي دانش پروة، ط١ (طهران: انتشارات حكمت، ١٩٧٨).

٢٧) **الحكمة الخالدة**، أبو علي مسكويه، تح: د.عبدالرحمن بدوي، ط١ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٢).

٢٨) **حي بن يقظان: النصوص الأربعة ومبدعوها**، مجموعة مؤلفين، تح: يوسف زيدان، ط١ (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٨).

٢٩) **حياة مشاهير الفلاسفة**، ديوجينيس اللائرتي، تر: إمام عبدالفتاح إمام، مراجعة: محمد حمدي إبراهيم، ٣ج، ط١ (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٦).

٣٠) **الخصائص**، ابن جني، تح: محمد علي النجار، ٣ج، د.ط (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٥٢).

٣١) **الخطابة: الترجمة العربية القديمة**، أرسطوطاليس، تح: د.عبدالرحمن بدوي،: **الترجمة العربية القديمة**، تح: د.عبدالرحمن بدوي، ط١ (الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٩).

٣٢) **دائرة المعارف الإسلامية**، مجموعة مؤلفين، ١٥ج، ط٢ (القاهرة: مؤسسة دار الشعب، ١٩٦٩).

٣٣) **دراسات في تاريخ الترجمة في الإسلام**، پول كراوس، د.ط (القاهرة: مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٣٩).

٣٤) **دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب**، عبدالرحمن بدوي، ط١ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١).

٣٥) **دراسة مقارنة لفكر جالينوس الأخلاقي في المصادر اليونانية والترجمات العربية**، إيمان محمد حامد عبدالقادر، (رسالة ماجستير غير منشورة)، (قسم الدراسات اليونانية واللاتينية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٧).

٣٦) **دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي**، عبدالرحمن بدوي، ط١ (بيروت: دار الآداب، ١٩٦٥).

٣٧) **ديوان الأعشى الكبير**، ميمون بن قيس، تح: محمد حسين، ط١ (القاهرة: المطبعة النموذجية، د.ت).

٣٨) **ديوان حسان بن ثابت**، حسان بن ثابت، عناية: عبد أ. مهنا، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤).

٣٩) **ديوان حُميد بن ثور الهلالي**، حُميد بن ثور، جمع: محمد يوسف نجم، ط١ (بيروت: دار صادر، ١٩٩٥).

٤٠) **ديوان زهير بن أبي سلمى**، زهير بن أبي سلمى، تح: علي حسن فاعور، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨).

٤١) **ديوان عنترة**، عنترة بن شداد، جمع: خليل الخوري و أمين الخوري، ط٤ (بيروت: مطبعة الآداب، ١٨٩٣).

٤٢) **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، الراغب الأصفهاني، تح: د.أبو اليزيد أبو زيد العجمي، ط١ (القاهرة: دار السلام، ٢٠٠٧).

٤٣) **الرد على جالينوس في الفلسفة والعلم الإلهي**، موسى بن ميمون القرطبي، تصحيح: يوسف شخت وماكس مايرهوف، مجلة الآداب بالجامعة المصرية، (المجلد٥، الجزء١، مايو ١٩٣٩).

٤٤) **رسالة في الطب والأحداث النفسانية**، عبيدالله بن جبرائيل بن بختيشوع، تح: فلكس كلاين فرانكه، ط١ (بيروت: دار المشرق، ١٩٨٦).

٤٥) **رسالتان في فلسفة الأخلاق**، فيصل بدير عون، ط١ (القاهرة: الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٥).

٤٦) **رسائل إخوان الصفاء وخِلَّان الوفاء**، إخوان الصفا، تح: خير الدين الزركلي، ٤ ج، ط٢ (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٨).

٤٧) **رسائل الشيخ الرئيس ابن سينا في أسرار الحكمة المشرقية**، أبو علي ابن سينا، تح: ميكائيل بن يحيى المهرني، ٤ ج، ط١ (ليدن، مطبعة بريل، ١٨٨٩).

٤٨) **الرسائل الفلسفية الصغرى**، أبو نصر الفارابي، تح: عبدالأمير الأعسم، ط١ (دمشق: دار التكوين، ٢٠١٢).

٤٩) **رسائل الكندي الفلسفية**، أبو يوسف الكندي، تح: محمد عبدالوهاب أبو ريدة، ٢ ج، ط١ (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٥٠).

٥٠) **رسائل فلسفية للكندي والفارابي وابن باجة وابن عربي**، عبدالرحمن بدوي، ط١ (بنغازي: منشورات الجانعة الليبية، ١٩٧٣).

٥١) **رسائل فلسفية**، ابن باجَّة، تح: جمال الدين العلوي، ط١ (بيروت: دار الثقافة، الدار البيضاء: دار النشر المغربية، ١٩٨٣).

٥٢) **رسائل فلسفية**، أبو بكر الرازي، تح: پول كراوس، ط١ (القاهرة، جامعة فؤاد الأول، ١٩٣٩).

٥٣) **الروضة الطبية**، عبيدالله بن جبرائيل بن بختيشوع، تح: القس بولس سباط، ط١ (القاهرة: المطبعة الرحمانية، ١٩٢٧).

٥٤) **سلوك المالك في تدبير الممالك**، ابن أبي الربيع، ط١ (القاهرة: مطبعة المعارف، ١٨٦٩).

٥٥) **سياسة الصبيان وتدبيرهم**، أبو جعفر أحمد ابن الجزَّار، تح: محمد الحبيب الهيلة، ط١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٤).

٥٦) **سياسة النفوس**، سنان بن ثابت بن قرَّة، تح: عبدالفتاح أحمد الغاوي، ط١ (القاهرة: المطبعة الإسلامية الحديثة، ١٩٩٢).

٥٧) **الشعر والشعراء**، ابن قتيبة الدينوري، تح: أحمد محمد شاكر، ٢ ج، ط٢ (القاهرة: دار الحديث، ١٩٦٧).

٥٨) **الشكوك على جالينوس**، أبو بكر الرازي، تح: مهدي محقق، ط١ (طهران: مؤسسة مطالعات إسلامي، ١٩٩٣).

٥٩) **الصداقة والصديق**، أبو حيَّان التوحيدي، تح: إبراهيم الكيلاني، د.ط (دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٩٦٤).

٦٠) **صِوان الحكمة وثلاث رسائل**، أبو سليمان المنطقي السجستاني، تح: د.عبدالرحمن بدوي، (طهران: بنياد فرهنك، ١٩٧٤).

٦١) **الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون**، ابن رشد، تر: أحمد شحلان، ط١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨).

٦٢) **الطب الروحاني**، أبو بكر الرازي، تح: عبداللطيف العبد، ط١ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٨).

٦٣) **طبقات الأطباء والحكماء**، ابن جلجل، تح: فؤاد سيد، ط٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥).

٦٤) **العقل الأخلاقي العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية**، محمد عابد الجابري، د.ط (الدار البيضاء: دار النشر المغربية، ٢٠٠١).

٦٥) **علم الأخلاق إلى نيقوماخوس**، أرسطوطاليس، تر: بارتلمي سانتهيلر (عن اليونانية)، و تر: أحمد لطفي السيد (عن الفرنسية)، ٢ ج، د.ط (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٢٤).

٦٦) **عيون الأخبار**، ابن قتيبة الدينوري، تح: يوسف طويل، ٤ ج، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦).

٦٧) **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ابن أبي أصيبعة، تح: نزار رضا، ط١ (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٥).

٦٨) **الفكر الأخلاقي العربي**، ماجد فخري، ٢ ج، ط٢ (بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٨٦).

٦٩) **فلسفة الأخلاق عند الجاحظ**، عزت السيد أحمد، ط١ (دمشق: منشورات اتحاد الكتَّاب العرب، ٢٠٠٥).

٧٠) **الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع مع تحقيق كتابه سلوك المالك في تدبير الممالك**، ناجي التكريتي، ط٣ (بيروت: دار الأندلس، ١٩٨٣).

٧١) **الفِهرست**، النديم، تح: أيمن فؤاد سيد، ٤ ج، ط١ (بريطانيا: مؤسسة الفرقان، ٢٠٠٩).

٧٢) **في النفس**، أرسطوطاليس، تر: إسحاق بن حنين، تح: د.عبدالرحمن بدوي، ط١ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٤).

٧٣) **في أنَّ الطبيب الفاضل يجب أن يكون فيلسوفًا**، بيتر باخمان، مجلة أكاديمية العلوم بغوتنغن. (ألمانيا) (العدد١، ١٩٦٥).

٧٤) **كتاب الألفاظ الكتابية**، عبدالرحمن الهمذاني، تح: أميل بديع يعقوب، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٣).

٧٥) **كتاب الخطابة**، أبو نصر الفارابي، ط١ (بيروت: بحوث ودراسات بمعهد الدراسات الشرقية، ١٩٧١).

٧٦) **كتاب النصيحتين للأطباء والحكماء**، عبداللطيف البغدادي، تح: محمد كامل جاد، ط١ (القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ٢٠١٧).

٧٧) **كتاب علم الأخلاق في النيقوماخية لأرسطو**، دوجلاس دنلوب، ضمن مهرجان أفرام وحنين، ط١ (بغداد: مطبوعات مجمع اللغة السريانية، ١٩٧٤).

٧٨) **كتاب مختصر الأخلاق**، جالينوس، صححه ونشره: پول كراوس، د.ط (القاهرة: مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٣٩).

٧٩) **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، حاجي خليفة، تح: أكمل الدين أوغلي و بشار عواد معروف، ط١ (بريطانيا: مؤسسة الفرقان، ٢٠٢١).

٨٠) **لسان العرب**، ابن منظور، ١٥ ج، ط١ (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٣).

٨١) **مجموع مخطوط لأربع عشرة رسالة في الطب**، من ضمنها "مخطوط كتاب جالينوس في العادات"، (مكتبة أيا صوفيا، رقم ٣٧٢٥).

٨٢) **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، الراغب الأصفهاني، ٢ ج، تح: عمر الطباع، ط١ (بيروت: دار الأرقم ابن أبي الأرقم، ١٤٢٠هـ).

٨٣) **مختار رسائل جابر بن حيان**، جابر بن حيان، جمع وعناية وتصحيح: پول كراوس، ط١ (القاهرة: مكتبة الخانجي ومطبعتها، ١٩٣٥).

٨٤) **مختارات من دائرة المعارف الإسلامية**، مجموعة مؤلفين، ٤ ج، ط٣ (تونس: معهد تونس للترجمة،٢٠٢١).

٨٥) **المستشرقون**، نجيب العقيقي، ط١ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٣).

٨٦) **المعجم الكبير**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٨ج، ط١ (القاهرة: مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٤).

٨٧) **المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، جواد علي، ١٠ج، ط٢ (بغداد: جامعة بغداد، ١٩٩٣).

٨٨) **المقابسات**، أبو حيَّان التوحيدي، تح: محمد توفيق حسين، ط١ (بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٧٠).

٨٩) **مقالات فلسفية لمشاهير فلاسفة العرب مسلمين ونصارى**، لويس شيخو وآخرون، ط٣ (القاهرة: دار العرب للبستاني، ١٩٨٥).

٩٠) **مقالة في التطرق بالطب إلى السعادة**، علي بن رضوان، تح: سلمان قطاية، مجلة تاريخ العلوم العربية (حلب)، (المجلد٢، العدد٢، نوفمبر١٩٧٦م).

٩١) **مقالة في شرف الطب وأدب الطبيب**، علي بن رضوان، تح: سلمان قطاية، مجلة الباحث (بيروت)، (سنة١، العدد٥-٦، يونيو١٩٧٩م).

٩٢) **مقاييس اللغة**، ابن فارس، تح: أنس محمد الشامي، د.ط (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٨).

٩٣) **من أثينا إلى بغداد: القراءة العربية للأخلاق اليونانية**، أحمد عبدالحليم عطية، ط١ (القاهرة: دار الثقافة العربية، ٢٠١٩).

٩٤) **من النقل إلى الإبداع**، حسن حنفي، ٩ج، ط٢ (القاهرة: المكتب المصري للمطبوعات، ٢٠٠٨).

٩٥) **المنقذ من الضلال**، أبو حامد الغزَّالي، تح: عبدالحليم محمود، ط٣ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٢).

٩٦) **موسوعة الفلسفة**، عبدالرحمن بدوي، ط١ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٤).

٩٧) **موسوعة المستشرقين**، عبدالرحمن بدوي، ط١ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٣).